الفصل السادس عشر

أفلاطون والأكاديمية

المحيط السياسى :

كان بدء القرن الجديد (الرابع) مضطرباً، إذ انتهت الحروب البيلوبونيزية عام ٤٠٤ بتسليم أثينا ، وانتصرت إسبرطة ، ولكنها لم تستطع أن تحكم بلاد اليونان بغير أن تضع فى كثير من المدن حاميات، وتستمد العون فى الأوليجاركيات وتستعين « بالمتعاونين » معها من فرق محلية قوية قليلة العدد، وكانت أثينا قد ذلت وشق عليها أن تحتمل سيادة الإسبرطيين ، لا فى أتيكا وحدها بل فى كل مكان بها .

وفى غضون ذلك تغيرت الظروف الاقتصادية تغيراً شديداً وعميقاً على نحو ما تغيرت الظروف السياسية ، فالمزارع فى أتيكا أصابها التلف إبان الحروب ، وكان الفلاحون القلائل هم أول ضحايا هذا الدمار ، وظهرت طبقة جديدة من كبار ملاك الأرض وأصحاب المصانع والمصارف . ولنقف لحظة عند واحد من هؤلاء هو : پاسيون Pasion الذى كان عبداً يقوم على خدمة أصحاب المصارف ، ثم أعتقه هؤلاء جزاء غيرته وإخلاصه ، فأخذ يقوم بأعمال مصرفية لحسابه ، وأنشأ مع هذا مصنعاً لصنع الدروع ، وأصبح أوفر أهل عصره ثراء ، وتقديراً لخدماته الجليلة لأثينا منح شرف المواطن الأثينى .

ولما قضى پاسيون عام ٣٧٠ ، اقترن بأرملته عتيقه فورميون « Phormion » ونهض بالإشراف على أعماله ورعاية ابنيه أپوللودورس « Apollodoros » وپاسيكليس « Pasicles » ، وقد بدد أولهما شطراً كبيراً من ميراثه . وتوافرت

لدينا بيانات وافية عن پاسيون— تتناول أعماله وتشمل أسرته— زودتنا بها الدعاوى القضائية التى أقحموا فيها ، وأمدتنا بها الخطب التى خلفها لنا « ايز وكراتيس » Isocrates و « ديموستنيس » Demosthenes . وحياة پاسيون تشبه حياة عصامى ثرى وافر الثراء فى أيامنا هذه ، وهى حياة تلقى ضوءاً على الرأسمالية التى كانت تنمو وتتضخم فى أثينا ، بينما كانت حكومة المدينة وغيرها من بلاد اليونان تتعرض للفساد وتستهدف للاضمحلال .

وكان من بين الآثار التى تخلفت عن الحروب الطويلة ظهور مجموعة —كبيرة نسبياً— من الجنود المدربين انصرفوا عن الفنون والصناعات التى تنشأ فى ظل السلام ، ولم يعد فى الإمكان ردهم فى يسر إلى حياة الأمن الوادعة . وقد تحول الكثير منهم إلى جنود مرتزقة مستعدة للاشتراك فى الحروب التى تثيرها الشعوب الأخرى ، فى مصر وآسيا الصغرى وإيران . وسنرى بعد فريقاً من هؤلاء الجنود ترك فى وادى الدجلة ، واضطر إلى أن يعانى المشقة فى سبيل عودته إلى بلاده تحت قيادة « كسينوفون » .

وقد نمت كراهية الناس للإسبرطيين وامتدت فى وقت أقصر من ذاك الذى نمت فيه كراهيتهم للأثينيين من قبل ، ولم تدم سيادتهم إلا نيفاً وثلاثين عاماً (من عام ٤٠٤ إلى ٣٧١ ق.م.) وتجمع العداء العام وعبأه الطيبيون تحت قيادة « إپيامينونداس » Epaminondas أبرع معاصريه فى تنظيم الجيوش ، ومن أنبل أهل زمانه . وهو الذى أنشأ (فى عام ٣٧٠) حلف « أركاديا » Arcadia ليقاتل به أهل إسبرطة . وقد غزا بلاد المورة أربع مرات ، ومات فى معركته المظفرة الأخيرة فى « مانتينيا » Mantineia (فى أركاديا) عام ٣٦٢ . وأبت إسبرطة ، برغم هزيمتها ، أن تستسلم لشروط السلام . وتلت هذا قلاقل كثيرة ، ولكن استقلال اليونان أوشك أن ينهار ، وسقطت المدن اليونانية فى قبضة قوة مقدونيا وكانت قد أخذت تنمو وتتضخم .

هذا هو مجمل الحالة مقصوراً على الحقائق الرئيسة ، مع إغفال كثير من الحروب التافهة التى أثيرت ، والدسائس السياسية التى حيكت ، والمعاهدات

التى عقدت ونقضت ، وأعمال البطولة التى نهض بها شجعان من الناس ، والجرائم التى اقترفها أهل الجشع والجبن والخيانة . أن سدى الحياة السياسية ولحمتها فى بلاد اليونان كانت معقدة إلى حد أنّ وصفها وصفاً جلياً واضحاً يتطلب إفاضة يضيق عنها هذا الإجمال ، لأن على الباحث الذى يريد ذلك أن يشرح القلاقل التى وقعت داخل كل مدينة ، وأن يعرض لما طرأ على العلاقات المتبادلة بينها من تغيرات لا حدّ لها ، على أن الذى يعنينا هو أن النسيج السياسى كان مفككاً ممزقاً بحيث لا يقبل علاجاً ولا يحتمل إصلاحاً .

ومع هذا فإن الحياة الروحية مضت فى طريقها قدماً ، وإن كان فى وسع المرء أن يكشف فيها عن أعراض المرض . إذ ازدهرت الأسرار الخفية الغامضة ولا سيما أسرار « إليوسيس » Eleusis * وكادت « الأورفية » Orphism تصبح الدين القومى فى البلاد ، ولقيت الآلهة الدخيلة المجلوبة من مصر وآسيا من الترحيب أكثر مما لقيت فى أى عصر آخر ، ومع الجهود التى بذلها إبزوكراتيس الأثينى (٤٣٦ – ٣٣٨) لم يتيسر تحقيق الوحدة القومية ، ولم يوجد بين اليونان إلا تسليمهم بالخرافات !

سكوپاس Scopas **وپراكستيليس** Praxiteles :

أعقبت مدرسة هذين المثالين مدرسة النحت القديمة فى أتيكا ، وهى التى كان يمثلها « فدياس » Pheidias ، وكانت تتصف بالاتزان والضبط ، وكشفت أعمال « سكوپاس » و « پراكستيليس » عن نزعة فردية وحساسية وانفعالية أوضح مما بدا فى مدرسة فدياس ، واستمر نشاط « سكوپاس » المنتسب إلى (جزيرة) باروس من عام ٣٩٤ إلى عام ٣٥١ على أقل تقدير (وقد كاد هذا يستغرق عصر أفلاطون كله) . وكان من بين آثاره الأخيرة

* مدينة فى أتيكا تقع على بعد عشرة أميال من شمال أثينا الغربى ، وأسرارها المشار إليها يراد بها صور سرية من العبادات تتضمن معتقدات وثنية مضنون بها على غير أهلها ، ولعلها تتصل بالحياة الأخرى ، وينسحب هذا على الديانة الأورفية المشار إليها فى النص عقب هذا مباشرة .
(المترجم)

طنف ضريح أقيم فى هاليكارناسوس Halicarnassos .

أما « براكستيليس » الأثينى فهو من جيل أحدث ، لأنه ولد حول عام ٣٩٠ فى الوقت الذى أتم فيه « سكوپاس» زخرفة معبد تيجيا فى أركاديا ، وعلى قدر ما تسمح بالحكم عليه آثاره المؤرخة ، نستطيع أن نقول إنه نبغ حوالى منتصف القرن الرابع (من عام ٣٥٦ إلى عام ٣٤٦) وكان فنه بالغ الجمال ، فتمثاله عن « أفروديتى » Aphrodite (فى جزيرة كنيدوس Cnidos) وهو تصوير مثالى كامل لجسم فراين [١] Phryne قد أصبح رمزاً للجمال الكامل ، ومع هذا فإن أروع آثاره تبدو فى الإله هرمس الذى يعبد فى « أوليمبيا » . وحسبنا أن نشير موجزين إلى هذه الآثار الجليلة ليدرك الإنسان أن خلق الجمال لا يتنافى مع قيام الفوضى السياسية .

ولعل فى وسعنا الآن أن نقدم أفلاطون فى هذا المحيط من الاضطراب والذعر والجمال ، فنحن لا نستطيع أن نفهمه فهماً جيداً إلا إذا رأيناه فى وسط هذا المحيط .

حياة أفلاطون :

ولد أفلاطون فى أثينا عام ٤٢٨ وأبوه « أريستون » Ariston وأمه « بريكتيونى » Prictione من أسرتين أرستقراطيتين . وكان أفلاطون على الدوام عميق الشعور بمحتده النبيل . وقد تلقى من التعليم الراقى ما يستطيع أن يتلقاه ابن أثينى من الأثرياء . ولما بلغ حوالى العشرين من عمره التقى بسقراط وأصبح من تلامذته مدة ثمانية أعوام ، وقد لجأ مع طائفة من تلاميذ سقراط إلى ميجارا لما قتل أستاذهم (عام ٣٩٩) — وتقع ميجارا فى منتصف المسافة بين أثينا وكورنثة — وكان أحد هؤلاء التلاميذ أقليدس Euclid الذى أنشأ مدرسة الميجاريين [٢] ، ولكن أفلاطون لم يبق فى ميجارا طويلا ، إذ أخذ يتنقل خلال الاثنى عشر عاماً التالية من عام ٣٩٨ إلى عام ٣٨٦ — على نطاق واسع فى بلاد اليونان ومصر وإيطاليا وصقلية ، وفى عام ٣٨٧ رحب به فى سيراكوز الطاغية

« ديونيسيوس » Dionysios (حول ٤٣٠ — ٣٦٧) وكان يدعى أنه أوتى ذوقاً أدبياً ويزعم أنه فيلسوف . وقد أصبح أفلاطون إبان إقامته فى سيراكوز على صداقة ومودة مع ديون Dion من أهل سيراكوز و « أرخيتاس » Archytas من أهل تارنت[٣] ، وعند عودته وقع أسيراً فى قبضة القرصان واتخذوه رقيقاً ، ثم افتدى وأطلق سراحه . ولكنه شرع بعد هذا بقليل — وكان قد بلغ الأربعين من عمره — فى مزاولة التعليم فى « الأكاديمية » ، بيد أنه تغيب عن الأكاديمية فترتين قصيرتين زار أثناءهما سيراكوز بين عامى ٣٦٧ و٣٦١؛ ثم أنفق بقية حياته — وهى النصف الثانى منها — فى الأكاديمية ، وقضى فى أثينا عام ٣٤٧ فى سن الحادية والثمانين .

الأكاديمية (٣٨٧ ق . م . — ٥٢٩ م) :

حين أتم أفلاطون سنى تجواله شعر فى نفسه بهاتف يدعوه إلى مزاولة مهنة التعليم ، ولكنه لم يرأن يسير على طريقة سقراط ، بل شعر بافتقاره إلى مدرسة تقام فى مكان معين ، ولم يشأ أن يقوم بالتدريس فى الشوارع والأسواق (كما فعل سقراط) وأراد — على عكس هذا — أن يباشر التدريس فى مكان منعزل بعيد عن الضجيج الصاخب ، فاختار قطعة من الأرض تقع على نهر كيفيسوس Cephissos وهو على بعد ستة إستادات Stadia من « ديبيلون » ، وهو باب أثينا الغربى[٤] . وكان يملك الأرض فى الأصل البطل أكاديموس Academos[٥] ومن أجل هذا سميت المدرسة بالأكاديمية ، وبسبب هذا الحادث الطارئ — وهو استخدام أفلاطون لأرض أكاديموس — أدخلت كلمة « الأكاديمية » فى جميع اللغات الأوربية تقريباً ، ومصير هذه الكلمة يصلح أن يكون موضوعاً طيباً لدراسة سيمانطيقية Semantic تتناول مدلولات الألفاظ[٦] .

أحسن أفلاطون اختيار هذا المكان ، إذ كان الناس ينظرون إليه قبل اختياره بزمن طويل على أنه مكان مقدس ، وقد قام « هيپارخوس » Hipparchos

نصير الآداب — الذى اغتيل عام ٥١٤ ، والأبن الأصغر لپيزيستراتوس Pisistratos — بإنشاء سور حوله ، وكان مهدى إلى أثينا ، يضم غابة من أشجار الزيتون يقدم الزيت المستخرج منها للظافرين فى الألعاب البانائينية Panathenaian وفى أثناء مهرجان الاحتفالات الكبرى التى كانت تنظم من أجل ديونيسيوس . ثم جىء بتمثال ديونيسوس اليوثيريوس Dionysos Eleutherios فى موكب رائع ، وكان المبنى يشمل حديقة وغابة وحلبة للمصارعة. وقام بزخرفته الجندى السياسى الأثينى المعروف كيمون Cimon (حول ٥١٢—٤٤٩) واستخدمه أفلاطون مكاناً لالتقاء تلاميذه التقاء منتظماً، وامتلك أرضاً تجاوره .

وفى وسعنا أن نتصور أن المبنى فى عهده كان يشمل بعض المنشآت ، وهى على سبيل المثال معبد أو متحف (معبد لربات الوحى الفنى) وربما وجدت به قاعات مخصصة للمعلمين والتلاميذ ، وردهات للاجتماعات وإلقاء المحاضرات وتناول الطعام مجتمعين ولو فى المناسبات الرسمية وحدها ، ومن الممكن — فى ضوء ما نعرفه عن جو أثينا — أن نتصور أن كثيراً من الدروس كان يلقى فى الغابة أو فى رواق يتيسر فيه اتقاء حرارة الشمس مع الاستمتاع بالهواء الطلق .

ولسنا نعرف عن التعليم نفسه أكثر مما نعرف عن المعهد من ناحيته المادية ، إلا ما يمكن أن نستقيه من كتابات أفلاطون وأتباعه وخلفائهم ، وفى وسعنا أن نقول إن منهج الحوار السقراطى كان شائع الاستعمال إبان ذلك ، ولا سيما فى بدء عهد الأكاديمية ، وأن المحاضرات كانت فى ذلك الوقت أقل شيوعاً من المناقشات ، وأنها كانت على نمط قريب الشبه بما نسميه بقاعات البحث فى جماعاتنا الحاضرة ، وأن كل شىء كان يجرى عفواً من غير تكلف ، وعلى النحو الذى تهدى إليه الخبرة والتجربة ، وأن موطن الإغراء والجاذبية كان فى شخصية أفلاطون نفسه ، إذ أقبل عليه الطلاب من أقاصى الأطراف وأدانيها ، كما كانوا يقبلون من قبل على سقراط وغيره من المعلمين الذين ذاع صيتهم بين الناس . ولكن تلامذة أفلاطون وفدوا لأول مرة إلى مكان محدد . ولئن

كان أفلاطون نفسه مثار إغرائهم ، فإنهم اختلفوا إلى الأكاديمية كما يختلف اليوم الطلاب إلى الجامعة .

ولم تكن الأكاديمية كمدرسة، أمراً بدعاً، بل وجدت مدارس قبل قيامها بقرون عدة، لا فى اليونان وحدها بل فى بابل ومصر وكريت، وأينما وجدت حكومة مست الحاجة إلى تدريب كتبة يقومون بأداء أعمالها، وأنى وجدت كنيسة بدت ضرورة تمرين كهنة وخدام ينهضون بخدمتها ، ومتى وجدت دور أعمال تجارية ومصارف اقتضى الأمر تدريب من يقومون بحساباتها، إنما جدة الأكاديمية فى نوع التعليم الذى كانت تزود به روادها. وقد كان أفلاطون يواصل فيها التقاليد التى جرى عليها السوفسطائية واتبعها سقراط . فكان لا يعنيه تعليم القراءة والكتابة وعلم الحساب ، بل كان أقل عناية بتعليم الطرق التى ينتهجها رجال الأعمال . إذ كان هدفه أسمى من هذا بكثير. لقد كان يريد أن يثقف طلابه . ويزودهم بحب المعرفة والحكمة ليجعل منهم فلاسفة ، بل لعله كان يقصد إلى جعلهم رجال سياسة . إنه لم يقم بتعليم أى معرفة خاصة ، باستثناء المنطق والرياضيات . ولكنه كان يقوم بتعليم أصول المعرفة والتربية والأخلاق والسياسة . إن الأكاديمية لم تكن مدرسة أنشأتها الحكومة لتسد حاجاتها الإدارية ، بل كانت مدرسة عليا — مستقلة عن الحكومة — لتدريس الفلسفة والسياسة ، وكانت فى العادة غير معادية للحكومة . وفى وسعنا أن نعتبر الأكاديمية أول معهد للتعليم العالى . وكانت معهدا خاصًّا لا يفتح أبوابه لجميع الناس[٧].

ولم يختلف إليها الطلاب — وهم من مختلف الأعمار — لكى يحصلوا على درجات أو إجازات علمية تعطيهم الحق فى وظيفة، فكانوا لا يجتازون امتحاناً ولا ينالون عن طريقها جاهاً من أى نوع كان، اللهم إلا ما كانت تنطوى عليه روح الخير عند معلميهم وفى مدرسيهم. كان هذا هو أحسن مظاهر الأكاديمية. ولم يكن للمعلمين والتلاميذ من غرض يهدفون إليه من وراء دراساتهم، كانوا يتصفون بالنزاهة التى يمكن أن تتوافر للعلماء، وكان مثلهم الأعلى هو ذلك المثال الفيثاجورى القديم القائل : « إن التماس المعرفة هو أعظم ألوان التطهير ».

ولكننا سنرى بعد قليل أن أفلاطون لم يبق وفيا مخلصاً لهذا المثال ،وأن إغراء السياسة قد انتهى به إلى أن يخون عهد أستاذه سقراط .

الأكاديمية بعد أفلاطون (٣٤٧ ق. م. — ٥٢٩ م) :

لعلنا نكون أقدر على تقدير معهد أفلاطون إذا نحن صرفنا النظر لحظة عن موضوعنا الرئيسى ، وأخذنا فى تلخيص تاريخ الأكاديمية . عقب موت أفلاطون (عام ٣٤٧ ق.م.) بقليل، خلفه ابن أخته «سپيسيپوس » Speusippos الذى أتم تنظيم المدرسة ، وتلاه خلفاؤه « كسينوكراتيس » Xenocrates من أهل خلقدونية رئيس الأكاديمية أو مديرها من عام ٣٣٩ إلى عام ٣١٥ . ورأسها من أثينا « پوليمون » Polemon الأثينى من عام ٣١٥ و « كراتيس » Crates منذ حوالى عام ٢٧٠ ، وبرئاسة كراتيس انتهت الأكاديمية القديمة ، وكانت شهرتها لا ترجع إلى رؤسائها الخمسة المذكورين آنفاً فحسب ، بل إلى التلاميذ أو المدرسين المساعدين من أمثال فيليب من أهل أوبوس Opus « ويوديكسوس Eudoxos الكنيدى وهيراكليديس من أهل البحر الأسود ، وكرانتور Crantor من سولى (فى قليقية) ، وسنجد مجال القول عن الثلاثة الأول ذا سعة، وحسبنا الآن أن نصف آخر من ذكرنا فى إيجاز :

درس «كرانتور» على يد كسينوكراتيس وپوليمون ، وكان أول من وضع شروحاً لمؤلفات أفلاطون ، ومن أشهر آثاره ما وضعه عن الحزن (Peri tu penthus) وقد فقد ، وإن بقيت منه شذرات فى كتاب شيشرون Ciceron : المحاورات التسكلانية Tusculan disputations وكتابه السلوة Consolation وهما الكتابان اللذان كتبهما شيشرون من وحى تأثره بفقدان ابنته توليا Tullia[٨] .

واصلت الأكاديمية مهمتها بعد «كراتيس» وإن اصطبغت بطابع شكى مختلف عن طابعها الأصلى ، وكان هذا وهى تحت رئاسة أركليساوس Arcelisaos البيتانى Pitane (فى أيوليا Aeolis حوالى ٣١٥ — ٢٤١) وهو

الذى يعتبر فى بعض الأحيان منشئ الأكاديمية الثانية أو الوسطى . وقد خلفه « كارنياديس » Carneades التورينى (٢١٣ — ١٢٩) وهو الذى قوّى الاتجاه الشكى ونماه ، وسمى بمؤسس الأكاديمية الثالثة . وقد أرسله الأثينيون سفيراً لهم فى روما حيث لقى نجاحاً ملحوظاً أثار ذعر الرقيب « كاتو » Cato (فى النصف الأول من القرن الثانى قبل الميلاد) فوجه إليه اتهاماً ودفع مجلس الشيوخ إلى طرده .

وقد نشأت أكاديمية رابعة على يد فيلون Philon من أهل لاريسا وكان يميل إلى المذهب الرواقى . وأخيراً بدأت أكاديمية خامسة على يد « أنتيوخوس » Antiochos العسقلانى وقد مات عام ٦٨ ق.م. وكان قد حاول أن يوفق بين تعاليم أفلاطون وأرسطو والرواقية . وتسمى الأكاديمية الخامسة عادة « بالأكاديمية الجديدة » .

زار فيلون وأنتيوخوس روما ، واستمع شيشرون إلى أولهما عام ٨٨ق.م وإلى ثانيهما بعد ذلك بعشر سنين ، وبفضل كارنياديس وفيلون وأنتيوخوس ، وصلت تعاليم الأكاديمية إلى العالم الرومانى ، وإلى شيشرون (فى النصف الأول من القرن الأول) و فارو Varro (فى النصف الثانى من القرن الأول) ، وقد كان هذان من الشراح البارزين لهذه التعاليم .

وفى أثناء الحصار الذى ضربه سلا Sulla على أثينا (عام ٨٦ ق . م .) احتاج سلا إلى خشب فقطع أشجار الأكاديمية . وقيل إن الأكاديمية انتقلت عند ذلك إلى داخل المدينة . وبقيت هناك حتى النهاية . ولو صحّ هذا ما اختفى موقعها فى المدينة . لكن أحداً لم يشر إلى هذا الموقع ، ولهذا تعين علينا أن نفترض أن الأكاديمية بقيت حيث كانت ، مع الدمار الذى أحدثه لها جيش سلا أما تاريخها بعد ذلك فغامض كل الغموض حتى القرن الخامس ، حين تهيأت لها شهرة جديدة باعتبارها مركزاً لتعاليم الأفلاطونية الحديثة ، ولا سيما عند « بروكلوس » Proclos (فى النصف الثانى من القرن الخامس) ، أما رؤساؤها السبعة الأواخر فقد كانوا : بلوتارك Plutarchos الأثينى أو

« بلوتارك الكبير » الذى مات عام ٤٣١ بعد أن أدركته السن العالية ؛ وسريانوس Syrianos الإسكندرى (فى النصف الأول من القرن الخامس) والمتوفى عام ٤٥٠ و « دومنيونوس » Domnionos من أهل لاريسا (فى النصف الثانى من القرن الخامس) و « بروكلوس » Proclos الذى مات عام ٤٨٥ ، ومارينوس Marinos من أهل « سيشن » (فى النصف الثانى من ذلك القرن) و « إيزيدوروس الميليتى ، وهو أحد مهندسى هيجيا سوفيا Hagia Sophia حوالى ٥٣٢ ، و « دماسكيوس » Damascios الدمشقى (فى النصف الأول من القرن السادس) وكان رئيساً للأكاديمية من حوالى عام ٥١٠ إلى عام ٥٢٩ عندما أغلق چستنيان Justinian الأكاديمية لأنها مدرسة للتعليم الوثنى المنحرف .

أغلق جستنيان أبواب الأكاديمية ، ولكنه لم يقتل معلميها ، وقد لاذ بعضهم ببلاط ملك فارس كسرى أنوشروان Chosroes Nushirwan (العادل الذى حكم من ٥٣١–٥٧٩) ولعلهم نزلوا بجنديسابور Jundishapur بخوزستان حيث أنشأ كسرى مدرسة مشهورة للطب ، ولهذا أهميته البالغة ، لأن المنفيين — فلاسفة كانوا أو أطباء — حملوا معهم بذور العلم والحكمة اليونانية التى كان مقدراً لها أن تنمو بعد بضعة قرون من الزمان فى رعاية المسلمين لقد أغلق چستنيان بابا ، وفتح كسرى باباً آخر ، وهكذا واصل العلم مسيره من أثينا إلى بغداد .

ومن أعظم الفلاسفة الذين رحب بهم « كسرى » « سمپليكيوس » Simplicios من أهل قليقية (فى النصف الأول من القرن السادس) وبرسكيانوس Priscianos من أهل ليديا (فى النصف الأول من ذلك القرن) وهو الذى قيل عنه إنه كان يمثل الأكاديمية فى المنفى ، أى الأكاديمية الأثينية فى بلاد إيران.

ومما لا يخلو من دلالة أن الأكاديميين التسعة السالفى الذكر ، وهم رؤساء الأكاديمية السبعة الأواخر والمنفيان السابقان ، لم يكن فيهم غير اثنين من بلاد اليونان ، (وهما پلوتارك ودومنيونوس) وكان السبعة الآخرون مصريين أو اسيويين [٩] .

عاشت الأكاديمية قروناً عدة ، فعندما أغلق جستنيان أبوابها ، كان يمكن أن تحتفل بعيدها السادس عشر بعد التسعمائة ، وما أظن أن فى الإمكان تبرير موقف جستنيان من إغلاقها تبريراً مقبولا ، إذ ليس لدينا دليل على أن استمرار وجودها كان متعذراً . إن دور التعليم ليست كأفراد الناس ، من حيث إن فى الإمكان معرفة أعمارهم فى أى وقت من حياتهم بطرح تاريخ ميلادهم من التاريخ الحالى (وقت إجراء هذه العملية) ، لأن دور التعليم يمكن أن تتوقف وأن تختفى أعواماً طويلة أو قروناً عدة ، ثم تعود إلى الظهور مرة ثانية . وقد أدرك الأكاديمية فى غضون الزمن تغير ملحوظ . والأكاديمية القديمة وحدها هى التى يمكن اعتبارها أكاديمية أفلاطون ، وقد عاشت قرناً ونصف قرن أو أقل من ذلك ، وعندئذ يمكن القول بأن كل معهد عرضة للتغير الذى يصاحب تقلبات الزمن ، وبمقدار طول حياته يتوقع الإنسان، لا محالة استهدافه للتغير . وإذا نحن ذكرنا هذه المعلومات أمكننا أن نجملها فى قولنا : إن أكاديمية أثينا ؛ وهى الأكاديمية التى أنشأها أفلاطون ، استمرت قائمة أكثر من تسعة قرون من الزمان .

تأثيرات شرقية :

لم نستطع مقاومة الإغراء الذى دفعنا إلى رواية تلك التقلبات التى أصابت الأكاديمية ، مع أن هذا قد أبعدنا عن موضوعنا المباشر . إنه تاريخ تلقيح الشرق بالهيلينية ، ذلك التلقيح الذى بدأ بالإسكندر بعد أفلاطون بجيل من الزمان ، واستمر قائماً يتعرض للمد والجزر ألف عام ، وبلغ ذروته عندما أغلق جستنيان أبواب الأكاديمية . وكان الغرض الذى يهدف إليه جستنيان هو حماية المسيحية من عدوان الوثنية . ولكن النتيجة الخطيرة التى تولدت عن إغلاق الأكاديمية هى أنه شجع الشعوب الشرقية التى آل أمرها إلى أن أضحت تحت القيادة الإسلامية ، أقوى المعارضين للحضارة المسيحية .

ويصبح هذا التاريخ أكثر إثارة للدهشة حين يذكر الإنسان — ومن واجبه

أن يذكر — الوجه المقابل لذلك ، ونعنى به صبغ اليونان بطابع شرقى . فإن نشأة الحضارة اليونانية وتطورها قد استهدفا لتأثيرات من الشرق ، نشأت الحكمة اليونانية فى مهد شرقى ، وفى إبان نموها كانت تعمل فيها مؤثرات أجنبية عنها سواء من أنصارها وخصومها . وربما كانت الفصول السالفة قد هيأت القارئ لتقبل ذلك ، تلك الفصول التى عالجت الحضارة السابقة على العصر الهيلينى ، أو التى عرضت للمصادر الشرقية التى أخذ عنها « فيثاجورس » واستقى منها « ديموكريتوس » Dimocritos .

ومن الواضح أن أفلاطون استهدف بدوره لتأثير الشرق ، ولكن هذا التأثير كان سطحيًّا ولم يكن متصلا . بل ليس فى وسعنا أن نميز بين ما استعاره مباشرة من الشرق ، وما تسرب إليه دون قصد عن طريق فيثاجورس وأرخيتاس وديموكريتوس أو عن طريق تلميذيه : يودكسوس وفيليب الأوبوسى .

كان أفلاطون أكثر ميلا إلى الأجانب من تلميذه أرسطو وإن كان أقل من هيرودوت ميلا إليهم . لقد وفد إلى مصر وزار آثارها العجيبة ، وألمّ بعلمها وعقيدتها وشعائرها الدينية وآدابها ، وعرف أن الحضارة المصرية أقدم من حضارة اليونان ، ويوضح هذا بجلاء محاورة « تيماوس Timaios »[١٠] فى حديث دار بين سولون Solon[١١] وكاهن مصرى أدركته السن العالية ، قال كاهن صا الحجر Sais : « ياسولون . أنتم معشر اليونان لا تزالون أبد الدهر أطفالا : لا وجود لشيخ يونانى » . فلما سمع سولون هذا قال : « ماذا تعنى بقولك هذا ؟ » فأجاب الكاهن : « إن روح كل منكم روح شابة ، إذ ليس فى قلوبكم معتقد واحد قديم أو مستمد من تقليد قديم ، بل ليس لديكم علم واحد عريق فى القدم » . بهذا عامل الكاهن المسنّ ضيفه اليونانى اللامع بنفس الطريقة التى يعامل بها المضيفون الأوربيين زوارهم من الأمريكيين ، ثم أخذ يشرح له فى لطف ودعة ما يتحلى به المجتمع المصرى من مزايا جميلة ، ويفسر له تشعب المجتمع المصرى إلى طوائف ونحو ذلك . فدهش سولون ، وكان أفلاطون أكثر منه دهشة .

لم يكن لأفلاطون خبرة مباشرة بالعراق Mesopotamia ، ولكنه أشار إلى قوانين الآشوريين (إمبراطورية نينوى) ومن المحتمل جدا أن يكون التنجيم عنده من أصل كلدانى . أما عن بلاد إيران عدوة شعبه القديمة ، فما من يونانى متعلم إلا وكان يعرف عنها شيئاً . وكان أفلاطون ـ متأثراً بديموكريتوس ويودكسوس يعرف عنها أكثر مما يعرف جمهور المتعلمين . اطلع على ما كتبه عنها كتسياس Ctesias وهيرودوت ، بل لعله اطلع على ما كتبه غيرهما من المؤرخين . وقد سرّه كثيراً ما كشفوا عنه بكتاباتهم ، وبدت له أوتوقراطية إيران ونظامها أسمى من ديمقراطية أثينا وفوضاها . وترجع أسطورة « Er » البامفيلية فى « الجمهورية » إلى أصل كلدانى إيرانى[١٢] .

إن أسطورة ولادة الأرض للناس * تعتبر فى النص[١٣] نوعاً من القصص الفينيقى Phoinicicon ti وربما كانت كذلك ، شأنها فى ذلك شأن رواية كادموس Cadmos وغيرها .

أما الآراء المثنوية وهى المثل الكامنة فى محاورات أفلاطون الأخيرة ، فلعلها مستقاة من الديانة الإيرانية ، وإن تعين التسليم بأن استقاءها على هذا النحو جاء برفق وعن طريق غير مباشر . ولم يرد ذكر اسم زرادشت Zoroaster فى مؤلفات أفلاطون سوى مرة واحدة[١٤] .

ومن التواتر أن أفلاطون حين كان شيخاً هرماً تلقى زيارة ضيف كلدانى ، إلا أنه أصيب بحمى ، فاستدعى زماراً من تراقيا ليرفه عنه ، ولكنه مات بعد قليل . ويقول آخرون إن كثيرين من المجوس حضروا وفاة الأستاذ ، ولما تبينوا أنه قد مات فى يوم لأبولاو Apollo مقدس ، وأنه عاش إحدى وثمانين سنة ،

---

* هذه الأسطورة مستمدة من أصل فينيقى . وموجزها أن الناس عاشوا فى باطن الأرض ، ثم ألقت بهم هذه الأم إلى سطحها . إنهم جميعاً إخوة ، ولكن الله حين خلقهم وضع فى طبيعة بعضهم ذهباً ليكون من الحكام ، وفى طبيعة البعض الآخر فضة ليكون من المساعدين ، وفى طبيعة غيرهم حديداً ونحاساً ليكون من الزراع والعمال . وتتسلسل الأجيال بعضها عن بعض ، فالأولاد مفروض فيهم أن يمثلوا آباءهم ، ولكن من الممكن أن يلد الذهب فضة والفضة أو الحديد ذهباً . . . انظر الفقرتين ٤١٤ و ٤١٥ ك ٣ من ترجمة Lindsay ١٩٥٠ ص ٩٩ وما بعدها – (المترجم) .

انتهوا إلى أنه كان لا محالة بطلا (أى كان أسمى من الإنسان) وقدموا لذكراه قرباناً .

وتوجد وجوه شبه كثيرة بين الفلسفة الأفلاطونية من ناحية، وفلسفة السامكايا Samkhya وفيدانتا Vedanta الهندية من ناحية أخرى ، ولكن ليس ثمة دليل على أن أفلاطون قد تأثر بمؤثرات هندية .

راجع رتشارد رتزنشتاين Richard Reitzenstein و « ه . ه . شيدر » H. H. Schaeder فى كتابهما Studien zum antiken Synkretismus aus Iran und Griechenland (٣٣٥ صفحة — دراسات مكتبة فاربورج Warburg ٧ : ليبزج ١٩٢٦) ؛ وراجع كذلك : جوزيف بيديه Joseph Bidez و فرانزكومونت Franz Cumont فى كتابهما : Les mages héllenisés (جزءان ، باريس Les Belles Lettres, 1938) (مجلة إيزيس Isis مجلد ٣١ ص ٤٥٨ — ٤٦٢ (١٩٣٩ — ١٩٤٠) وراجع كذلك بيديه Bidez فى كتابه : Eos ou Platon et l'Orient 256 pp. بروكسل

(راجع مجلة إيزيس مجلد ٣٧ ص ١٨٥ (عام ١٩٤٧) : وانظر أيضاً ؛ سيمون بترمنت Simon Pétrement فى كتابه : (Le dualisme chez Platon, les Gnostiques et les Manichéens (354 pp.; Paris: Presses Univrersitaires de France, 1947).

وراجع كذلك فرانزكومونت ، Franz Cumont فى كتابه :

Lux perpetua (558 pp.; Paris: Geuthner, 1949)

وانظر مجلة إيزيس مجلد ٤١ ص ٣٧١ (عام ١٩٥٠) .

نظرية المثل[١٥] :

ليس فى نيتنا أن نتعرض لفلسفة أفلاطون فى إسهاب ، ولكن علينا أن نناقش نظرية المثل التى تعتبر جوهر هذه الفلسفة . والتى تهيمن على تفكيره فى كل موضوع يعرض له .

إن الموجودات التى نراها بأعيننا ليست إلا مجرد مظاهر ، أشبه ما تكون بالظلال أو الأشباح فى الكهف[١٦] . وإذا كانت هناك معرفة حقيقية على الإطلاق وجب أن تكون هناك موجودات موجودة وجوداً حقيقياً . هذه الموجودات هى « المثل » Ideas أو « الصور »[١٧] Forms وكل نوع من هذه الموجودات أو الأشياء يقابله مثال هو مصدره وعلته . مثال ذلك الخيل يبدو كل منها مختلفاً عن الآخر وناقصاً مهما بدا جيداً ، إنها مهما ظهرت فى صورة كاملة فهى فيما نرى لا بد أن يعتريها الضعف وينتابها الزوال عاجلا أو آجلا . فمثال الفرس ، أو بعبارة أخرى الفرس المثالى كامل وخالد أزلى . وهذا الفرس المثالى لا يمكن أن تتناوله رؤيتنا أو يدركه لمسنا . ولكن بينما نلاحظ أن الأفراس التى تدرك بالحس تتعرض للفناء وليس لها وجود فى ذاتها — شأنها شأن الظلال (الأشباح) — نجد أن الفرس المثالى موجود وجوداً حقيقياً . إنه النموذج الأصيل للأفراس الممكنة ، المولود منها وغير المولود على السواء .

وتساعدنا هذه النظرية على تصنيف جميع الموجودات من ناحية وجودها الحقيقى ، بدلا من النظر إليها من ناحية مظاهرها الفانية وحدها . إنها تعيننا على فهم قانون التغير والفساد (العدم) الذى يبدو عاماً ، وتزودنا بمبادئ جديدة فى مجال التفكير والسلوك . فالعالم المحسوس يستهدف للبلى ويتعرض للفناء ، أما المثل فإنها باعتبارها مفارقة للمادة لا تقبل الفساد ، وهى فوق ما نسميه بالعمر أو الأجل المحدود . إن عالم المثل عالم حقيقى ودائم ، وليس المثال حقيقة الشىء وجوهره فحسب ، بل هو حده * واسمه ، ومن ثم تزودنا المثل فى نفس الوقت بأدوات المعرفة وعناصرها الصحيحة . إن المثل ليست مجرد أخيلة وأوهام ، بل هى موجودات حية وأبدية ، إنها صور ونماذج لمصادر المحسوسات ، وهى فى نفس الوقت تشبه الأسماء السحرية (الرمزية) .

إن المثل تقبل التصنيف فى يسر ، وتحتمل وضع أحدها فوق الآخر ،

---

* بالمعنى المنطقى ويراد به التعريف ، والتعريف الكامل (بالحد) يكون بالجنس (الصفة الذاتية الموجودة فى المعرف مع غيره من أنواع) والفصل (الصفة الذاتية التى تخص المعرف وحده) .

فالمثال الأعلى هو مثال الخير الذى يشبه الله كل الشبه .

ونحن نعرف الموجودات المحسوسة معرفة ظنية . أما المعرفة الحقيقية فلا يتسنى إقامتها إلا على أساس المثل المفارقة للمادة ، ومن هنا كان هدف العلم التثبيت من هذه المثل وفهمها ومعرفتها ، ويكون الفيلسوف الحق هو الذى يكون فى مقدوره أن يدرك هذه المثل التى تقوم وراء المظاهر المتغيرة الخادعة ؛ وهو يجد جزاءه الأوفى فى مشاهدة (تأمل) أصفى المثل وأسماها . فلننصت إلى ما تقوله الحكيمة ديوتيما Diotima وهى من « مانتينايا » : Mantineia

« إن حياة كهذه الحياة يا عزيزى سقراط . حياة تنفق فى مشاهدة الجميل (أى تأمله عقلياً) هى حياة يخلق بالبشر أن يعيشوها ؛ هى حياة إذا قدر لك أن تحياها وجدت أنها أسمى بكثير من الذهب ، وأعظم قيمة من الأثواب الجميلة ، بل أعزّ من الأشخاص المحبوبين [١٨] الذين تشاهدهم (تتأملهم) أنت وكثيرون غيرك فى دهشة ، مستعدين للإمساك عن الطعام والشراب عسى أن يتسنى لكم أن تتطلعوا إليهم وتشاهدوهم وأن تعيشوا إلى الأبد مع هؤلاء الذين يكونون موضوع حبكم . إذن فما الذى نتخيل أنه مظهر الجمال الأسمى نفسه ، ذلك الجمال البسيط الصافى غير المدنس باختلاطه بالجسد ، غير المصطبغ بالألوان وسائر الأشكال العرضية التافهة التى يعتريها الفناء . ذلك الجميل القدسى الأصيل الأسمى الأوحد نفسه . . ؟ وماذا ينتظر أن تكون عليه حياة ذلك الذى يعيش معه ويشاهده ويتأمله ، ذلك الذى يصبح فى نظرنا كل شىء ننشده ونبتغيه . . . ؟ ألا ترى أنه وحده الذى يمتاز بأن تبدو فيه الفضيلة نفسها (لا ظلال الفضيلة وأشباحها) ، لأنه ليس على اتصال بالظلال ، وإنما هو متصل بالحقيقة ، وبالفضيلة نفسها ، تلك التى بمباشرته لها وعمله على ترقيتها يغدو حبيباً إلى الله ، لاسيما وهذا الامتياز إذا وهب لإنسان كان هذا الإنسان مخلداً [١٩] » .

إن الإنسان متى عرف الفضيلة معرفة حقيقية ، أى متى عرف بحق مثال

الفضيلة ، كان رجلا فاضلا ، إذ ما من إنسان يتوصل إلى مثل تلك المعرفة الخالصة ويكون فى وسعه أن يقدم فى يسر على إتيان الشر[٢٠] .

ومن أجمل محاورات أفلاطون محاورة فيدون Phaidon المشار إليها منذ حين ، وقد أخذنا عنها وصف أفلاطون المثير لموت سقراط . والغرض الذى تهدف إليه هذه المحاورة هو أن الفيلسوف يسعد بالموت ، ومثال النفس يتضمن خلودها ، وتسلم المناقشة فى هذه المحاورة إلى نتيجة خلاصتها أن المثل هى العلل الوحيدة لجميع الموجودات ، وهى موضوعات المعرفة الوحيدة . ونظرية المثل تعيننا على أن نبرهن على خلود النفس ، والعكس بالعكس .

والفكرتان اللتان تقولان بوجود موجودات تتوسط المثل (أو الصور) والأشياء المحسوسة ، وأن المثل أعداد ، هاتان الفكرتان اللتان يعزوهما أرسطو فى كتابه « ما بعد الطبيعة »[٢١] إلى أفلاطون ، لا توجدان فى محاوراته . ومع هذا فإن نسبتهما إلى أفلاطون يحتمل أن تكون صحيحة ، لأننا نستطيع أن نفترض أن تعاليم أفلاطون التى تلقاها عنه أرسطو مباشرة ، لا توجد بأكملها فى كتاباته ، فالمدرس الممتاز يزود تلامذته بمعلومات أكثر بكثير مما يستطيع أن يدونه فى كتاباته بأية طريقة ممكنة .

ونظرية المثل هى مصدر الواقعية المنطقية ، كما أنها مصدر مشكلة الكليات التى ما كاد يقول بها بويتيوس Boetius (فى النصف الأول من القرن السادس) ويعيد وضعها القديس أنسيلم St. Anselm (فى النصف الثانى من القرن التاسع) حتى هيمنت على تفكير المفكرين فى العصر الوسيط . وقد أبان عن النظرية المضادة لنظرية الكليات ، ونعنى بها نظرية الاسميين (universalia post rem) معاصر القديس أنسيلم وهو « روسيلين » Roscelin من أهل « كومبين » Compèigne (فى النصف الثانى من القرن التاسع) ولكنها لم تنجح إلا بعد أن أعاد بعثها « وليام أوكام » William Occam (فى النصف الأول من القرن الرابع عشر)[٢٢] ، وقد سحرت وجهة النظر الأفلاطونية

الشعراء والميتافيزيقيين ، أولئك الذين توهموا أنها جعلت المعرفة الإلهية ميسورة ، وهى لسوء الحظ قد جعلت المعرفة العلمية المتصلة بالواقع مستحيلة ! أما طريقة أفلاطون التى تسير من الكلى إلى الجزئى ، ومن المجرد إلى المحسوس ، فهى طريقة حدسية سريعة وعقيمة ، وهى عقيمة لأنها لا تصلح للتطبيق العملى ، أو فلنقل — مستخدمين طريقتنا الحديثة فى الاصطلاحات العلمية — إنها لا تفيد فى حياتنا العملية ncf operational[٢٣] ، إن الخير المجرد ليس خيراً . وليس فى وسع الإنسان أن يمتطى صهوة مثال للفرس . أما الطريقة المضادة وهى الاسمية via moderna التى تسير من الجزئيات المعروفة إلى الأفكار المجردة ماضية فى تعميمها ، فهى طريقة بطيئة ولكنها منتجة غير عقيمة . إنها تمهد الطريق رويداً رويداً إلى قيام العلم الحديث . وعلى الرغم مما كشف عنه العلم من ثمر وقوة تتجاوزان التصديق . لم تمت الفلسفة الأفلاطونية وان تموت أبداً . فسيوجد على الدوام ميتافيزيقيون تعوزهم الأناة فى البحث فيلتمسون الإجابات الكلية العامة السريعة حلا لما يعترضهم من إشكالات . وسيوجد على الدوام (ولنأمل فى تحقق هذا) شعراء يؤثرون الأحلام على الحقائق .

ومن الغريب حقّاً أن هؤلاء الميتافيزيقيين والشعراء كثيراً ما يسمون بالواقعيين ! وربما كانت تسميتهم بالمثاليين[٢٤] أقل مدعاة للبس والإبهام . ومع ذلك فإن هذا يسلم إلى سوء فهم جديد ، لأن هناك كثيرين من السذج الذين يعتقدون أن المثاليين يحتكرون المثل لأنهم يؤثرون المثل العليا على الحقائق ، ويحاولون أن يفسروا الأخيرة تفسيراً مثاليا . وبهذا المعنى كان أفلاطون النموذج الذى احتذوه . أما رجال العلم فلهم مثلهم الخاصة بهم . ولكنهم لا يجعلون الحقائق أقل قيمة من هذه المثل . إن مثلهم تصدر عن الحقائق . وحدودها هى هذه الحقائق التى يرجو الإنسان أن يفسرها بحيث يدنو من الحقيقة ما أمكنه ذلك .

إننا لا نستطيع أن نمجد الناس من أجل مثلهم السلبية التى لا يملكون لها ضبطاً . وإنما نمجد أفكارهم الفعالة وأفعالهم المحسوسة الواضحة ، فإن المثل العليا التى لا مسوغ لها ، لا تقود لغير النفاق والهذر والشك .

ووجوه الشبه بين الفلسفة الأفلاطونية ومختلف صور الحكمة الهندية كثيرة وجلية واضحة . ولكن هذا لا يستتبع القول بأن إحداهما قد استعارت من الأخرى شيئاً محدداً . ويكفى أن نذكر ما كان بين اليونان والشرق من علاقات غير محددة طوال قرون عدة . وأن نذكر وحدة العقل البشرى. فإنه متى توافرت أمام الناس مقدمات معينة — كوجود مدركات خاطئة تتعلق بالعالم الحسى ، والحقيقة الكبرى التى تتعلق بالعالم الذى يقوم وراء الحس — تعين الانتهاء من هذه المقدمات إلى نتائج متشابهة .

كتب أفلاطون : مجمل بمؤلفاته .

حسبنا فى هذا المجمل أن نسرد بضع طبعات عامة لكل مؤلفات أفلاطون أو أكثرها .

وأول نشر لها هو الترجمة اللاتينية التى قام بها مارسيليو فاكينو Marsiglio Facion (القطع الكبير — فلورنسا ١٤٨٣ — ٨٤) . وأول مخطوط يونانى منها عثر عليه نشره « أ. ب. مانوتيوس » A. P. Manutius و « م. ماسوروس » M. Musurus فقامت بطبعه « مطبعة ألداين » Aldine press بعد ذلك بثلاثين عاماً (البندقية ١٥١٣) (شكل ٨٠) وثمة طبعة يونانية لاتينية مع نص لاتينى جديد وضعه ج . سيرانوس J. Serranus قام بنشره هنريكوس ستيفانوس Henricus Stephanus (هنرى إستين Henri Estienne) ٣ أجزاء من القطع الكبير . باريس ١٥٨٧ (شكل ٨١). وهذه الطبعة مهمة كل الأهمية لأن ترقيم صفحاتها أخذ به فى كل طبعة علمية لاحقة، وخير طريقة تتبع عند الإشارة إلى فقرة من أفلاطون هو أن تذكر عنوان الكتاب وتحدد الجزء والصفحة فى طبعة ستيفانوس (ومتى عرف عنوان الكتاب أمكن الاستغناء عن ذكر رقم الجزء) .

وأحسن طبعة يونانية هى طبعة جون بيرنت John Burnet

(5 vol. in 6; Oxford: Clarendon Press 1899-1906).

وأول ترجمة فرنسية قام بها أندريه داسييه André Dacier (١٦٥١ — ١٧٢٢) تحت عنوان « مؤلفات أفلاطون » (Les Oeuvres de Platon) فى جزءين — باريس ١٦٩٩) . وثمة طبعة أخرى تجمع بين الأصل اليونانى والترجمة الفرنسية ، وتقوم بنشرها جمعية جيوم بيديه Guillaume Budé (باريس ١٩٢٠ وما بعدها) .

وأول ترجمة إنجليزية نقلت عن نسخة داسييه الفرنسية (فى جزءين — لندن ١٧٠١) وأول ترجمة إنجليزية نقلت عن اليونانية قام بها فلوير سيدنهام Floyer Sydenham و توماس تايلور Thomas Taylor (فى خمسة أجزاء من القطع الصغير عام ١٨٠٤) وأشهر طبعة إنجليزية هى طبعة بنيامين جوويت Benjamin Jowett (١٨١٧ — ١٨٩٣) وهو رئيس كلية باليول Balliol (٤ أجزاء — أكسفورد ١٨٧١ ، ٥ أجزاء ١٨٧٥) وثمة طبعات إنجليزية يونانية قامت بها مكتبة لويب القديمة (Loeb Classical Library ١٩١٤ وما بعدها) .

انظر كذلك : Friedrich Ast, Lexicon platonicum (3 vols.; Leipzig, 1835-1838; anastatic reprint, Berlin, 1908) وفى ترجمة جوويت Jowett فى الجزء الخامس فهرس بالإنجليزية . ويشير معجم Ast الكامل لشرح المفردات وفهرس Jowett إلى أرقام الصفحات عند ستيفانوس Stephanus وبهذا يتيسر استخدامها فى أى طبعة لكتب أفلاطون تذكر هذه الأرقام .

ترتيب مؤلفات أفلاطون بحسب تاريخ كتابتها :

تتنوع قائمة مؤلفاته ، لأن نسبة بعضها إليه موضع شك، وتتضمن هذه القائمة دفاع سقراط Apology of Socrates مضافاً إليها نحو خمس وعشرين إلى ثمان وعشرين محاورة ، وثلاث عشرة رسالة (ربما صحت نسبة السابعة منها فقط إلى أفلاطون) .

وثمة مؤلفات لم تثبت نسبتها إليه ، ولكن (وهذا أمر جدير بكل ملاحظة)

ليس من بينها ما فقد، وهذا ينطوى على تقدير متصل لمخلفات أفلاطون منذ العصور القديمة .

وقد دارت وستدور مناقشات لا حدّ لها حول تاريخ المؤلفات الأفلاطونية ، ولكن هناك اتفاقاً عامّاً فى الجملة grosso modo على الأسس التالية :

١ — المحاورات السقراطية — يوثيفرون Euthyphron و خرميدس Charmides و لاخيس Laches و ليسيس Lysis و كريتون Criton وكذلك الدفاع Apology كانت هذه المحاورات أول ما كتب ، أى انه وضعها عندما كان تحت تأثير سقراط ، وحاول أن يعيد فيها نشر آراء أستاذه فى أمانة .

٢ — المجموعة الثانية هى المحاورات التعليمية التى تنقد السفسطة ، وهى : بروتاجوراس Protagoras و يوثيديموس Euthydemos و چورچياس Gorgias و فيدروس Phaidros و مينون Menon و سيمبوزيوم ؛ Symposium و الجمهورية The Republic و فيدون Phaidon وكراتيلوس Cratylos .

٣ — المجموعة الثالثة هى : « بارمنيدس » Parmenides و « فيليبوس Philebos و تأيتيتوس Thcaitetos و السوفسطائى Sophist و السياسى Statesman.

٤ — والمجموعة الأخيرة (وهى مؤلفات الشيخوخة) : تيمايوس Timaios و القوانين Laws (وقد كان هذا آخر مؤلفاته وأكثرها إسهاباً) .

وهذه القائمة ليست مستوفاة ، ولكنها كافية لترتيب مؤلفاته ترتيباً تاريخياً تقريباً . وقد تقتضينا الحكمة أن نبسطها أكثر من ذلك ، وأن نقول إن أفلاطون كتب محاوراته السقراطية فى بداية مزاولته التأليف ، ووضع تيمايوس و « القوانين » فى النهاية ، وكتب باقى المحاورات بين هذين العهدين .

ومما هو خليق بالملاحظة أن جميع مؤلفاته — ما عدا « الدفاع » والرسائل المشكوك فى صحة نسبتها إليه — قد وضعت فى صورة محاورات ، وهى كما نعلم

أمثل طريقة عبر بها أفلاطون عن آرائه . والمحاورة تعين الكاتب على أن يصور مختلف جوانب الموضوع الذى يدرسه ، بل تساعده على أن يعلق حكمه أو يخفيه عن القارئ على الأقل . ومن أجل هذا نجد فى مؤلفات أفلاطون محاورات لا تنتهى إلى نتيجة — مثل بروتاجوراس .

ويبدو سقراط شخصية من شخصيات المآسى فى جميع المحاورات ، ما عدا « القوانين » . ويظهر فى « بارمنيدس » و « السوفسطائى » . و « السياسى » : و « تيمايوس » على صورة ثانوية . أما فى المحاورات السقراطية الأولى فهو المتكلم الرئيسى ، ونحن نشعر — عند قراءتها — بثقة متزايدة فى أننا ننصت إلى سقراط الحقيقى . وأما فى المحاورات المتأخرة فيراد بنا أن ننصت إلى ما سرّ الشرّاح أن يسموه سقراط « الأفلاطونى » أو « المثالى » . ولكنه يبدو فى الغالب مشوّهاً ومنقوصا . ويتوقف الحوار . أو يقطع أحياناً ، بذكر أساطير كأسطورة « أطلنطس » فى مطلع « الجمهورية » . وأسطورة « إر »* فى نهايتها ، والأسطورة التى وردت فى محاورة « السياسى » . وكثيراً ما يقطع بعرض طويل جداً يقرأ كما تقرأ المحاضرات ، ويكاد ينسى المتكلمون الآخرون . ويعيننا طريق الحوار على أن نرى الدليل من زوايا متعددة ، ويتيح لنا أن نقلبه على مختلف وجوهه ، ولكن هذا قد يكون خداعاً أكثر منه حقيقة . وكثير من المحاورات ، ولا سيما السياسية ، تتسم بطابع جازم ما أمكن ، كاعتراضات المتحاورين إنما يقصد بها توضيح آراء الطرف الآخر . وسيئة أخرى من سيئات هذه الطريقة أنها تفضى إلى التكرار والإطناب ، وتعرض وحدة الموضوع لخطر التفكك .

وأسلوب أفلاطون يمثل كمال النثر الأثينى إبان العصر الذهبى ، عندما كانت

---

* يشير أفلاطون فى الفقرات ٦١٤ - ٦٢١ أواخر الجمهورية إلى جندى باسل اسمه « إر » قتل فى معركة حربية ، وفى اليوم العاشر أخذوا جثث القتلى لإجراء مراسم الدفن ، ولما هموا بدفنه دبت فيه الحياة وأخذ يروى للحاضرين ما رآه فى العالم الآخر ، ويحدثهم عن عذاب المسيئين وجزاء المحسنين فى دنياهم ، فإذا عقاب السيئة كجزاء الحسنة عشر أمثالها . . . إلخ (انظر الجمهورية فى ترجمة Lindsay طبعة ١٩٥٠ ص ٣١٨ — ٣٢٥) .

— المترجم —

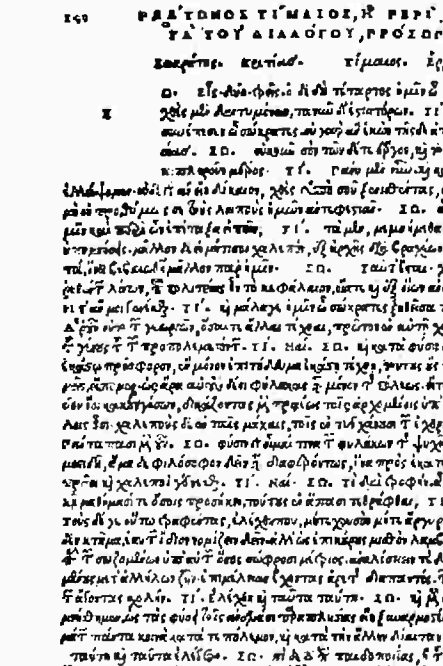

شكل ٨٠

صفحة من أول مخطوط عثر عليه فى مؤلفات أفلاطون (البندقية ١٥١٣) نشره ألدومانوزيو Aldo il Vecchio (١٤٤٩–١٥١٥) والكريتى ماركو ماسورس Marco Musurus (١٤٧٠ – ١٥١٧) — وهذه الصفحة هى بداية محاورة « تيماوس » (١٧ أ إلى ١٩ ب) — قارن هذا بشكل ٦٠ (من نسخة فى مكتبة كلية هارفارد) .

اللغة اليونانية لا تزال نقية صافية ، فهو أسلوب سهل ، ولكنه أنيق ، فكه حيناً ، وشعرى حيناً آخر ، غنى باستعارته ، لين جداً ، ملىء بالمفاجآت ، وعلى الرغم من جفاف كثير من موضوعات الحوار ، فإن أفلاطون استطاع فى الأغلب أن يستثير دهشة قارئه وأن يفتنه ، يبدو هذا لكل من أوتى القدرة على أن يقرأه فى أصله اليونانى ، على أن يكون ملماً باليونانية إلماماً كافياً .

وينبغى أن نعترف بأن كثيراً من الكلمات التى كتبت فى امتداح سحر أسلوب أفلاطون لم تكن مخلصة ، لأن معرفة كاتبها باليونانية ناقصة . ولكى يقدر الإنسان ميزة النص الأدبية ودقة مؤلفه فى التفكير والتعبير ، عليه أن يعرف لغته معرفة جيدة جداً ، فيعرف المفردات وقواعد النحو معرفة عميقة بحيث لا يفكر فيها مطلقاً وإنما يتتبع فقط تدفق الأسلوب الحى ، وانسجام التعبير وسلامة التصوير ، والترابط الأخاذ بين الأفكار والعبارات الدالة عليها . إن الإعجاب بأفلاطون متى صدر عن قوم ليسوا أكفاء لفهمه ، كان نوعا عجيباً من التحذلق ، ومع هذا يجب ألا نحط من شأن هذا النوع من الضعف ، لأنه أعان على تنمية حب المثل اليونانية العليا ، بل ساعد على أن يظل معلمو اللغة اليونانية أحياء يرزقون إلى اليوم . . . !

السياسة ، الخيانة الكبرى[٢٥] :

لا بد أن تعليم أفلاطون فى الأكاديمية كان — على قدر ما تمكننا من الحكم عليه كتاباته — موقوفاً إلى حد كبير على المسائل السياسية ، أو على السياسة والأخلاق ، وهما مجالان كانا وسيكونان دائماً على اتصال وثيق . فإن المواطن الصالح ، بله السياسى الصالح ، يتعين عليه أن يكون منذ البداية رجلا خيرا . وليس بين مؤلفات أفلاطون إلا ثلاثة تعالج السياسة بنوع خاص ، ولكنها مجتمعة طويلة جداً . وقد أبان عن مثله العليا السياسية فى « الجمهورية » وهو فى منتصف عمره ، وبعد هذا عرض فى « السياسى » بعض أفكاره السياسية فى صورة أنضج ، ووضع فى أواخر حياته أوسع كتبه جميعاً وهو كتاب « القوانين »[٢٦] ، وفى كتاب القوانين تكيفت أحلامه السياسية عملياً حتى

ΠΛΑΤΩΝΟΣ
ΑΠΑΝΤΑ ΤΑ ΣΩΖΟΜΕΝΑ·
PLATONIS
opera quæ extant omnia.

EX NOVA IOANNIS SERRANI INterpretatione, perpetuis eiusdē notis illustrata: quibus & methodus & doctrinæ summa breuiter & perspicuè indicatur.

EIVSDEM Annotationes in quosdam suæ illius interpretationis locos.

HENR. STEPHANI de quorundam locorum interpretatione iudicium, & multorum contextus Græci emendatio.

EXCVDEBAT HENR. STEPHANVS,
CVM PRIVILEGIO CÆS. MAIEST.

شكل ٨١

هذه الصفحة من الطبعة اللاتينية اليونانية لمطبوعة أفلاطون نشرها هنرى اتين Henri Estienne في ٣ أجزاء (folio; paris. 1578) وترقيم صفحات هذه الطبعة يتكرر فى كل طبعة علمية ، وأفضل طريقة تتبع عند الإشارة إلى نص أفلاطون هى أن تذكر الصفحة الواردة فى طبعة ستيفانوس Stephanus (من النسخة الموجودة فى مكتبة كلية هارفارد) .

تلائم الضعف الإنسانى ، وهو يحوى مادة غزيرة تنظم كل مرفق من مرافق الحياة العامة أو الخاصة ، ومن هنا كان لهذا الكتاب تأثير ملحوظ فى التشريع الهيلينى والرومانى . وقد وضعت مسودات قوانين كثيرة وسنت قبل أفلاطون ، ولكن من العسير الاهتداء إلى فلسفة قانونية سابقة عليه ، ومن أجل هذا نستطيع أن نسميه مؤسس فقه القانون .

وعلينا — لكى نفهم تأملات أفلاطون — أن نذكر الظروف السياسية التى نما فى محيطها عقله . كان ابن الحرب البيلوبونيزية ، ولم يشهد الهزيمة الساحقة التى نزلت بأثينا وحدها ، بل شهد اضمحلال الديمقراطية كذلك . ورأى إبان سنى شبابه الحساسة جرائم ارتكبها الدهماء أولا ، ثم اقترفها الأرستقراطيون بعد ذلك . وكان قد بلغ الرابعة والعشرين من عمره حين باشر الحكم الثلاثون طاغية (٤٠٤ — ٤٠٣) أولئك الذين بلغت مظالمهم حداً تغتفر إلى جانبه أسوأ الأفعال التى أتتها الديمقراطية . ثم مضت الأمور بعد هذا من سيئ إلى أسوأ . ففى عام ٣٩٩ صدر حكم الإعدام على أستاذه سقراط ، واضطر هو إلى مغادرة المدينة . وكان ذا ثراء وعلى اتصال ببعض حكام الأوليجركية وكانت الفوضى السياسية تؤلمه إيلاماً شديداً ، كما كانت إدانة أصدقائه وإعدام أستاذه المبجل فوق ما تحتمل طاقته . ولم تكن أثينا فى أيامه سارة إلى حد يثير تأملاته . وكانت إسبرطة وكريت تبدوان فى نظره — وهو على غير اتصال بهما — أفضل منها . وعندما كان يكتب « الجمهورية » كانت أوهامه قد انقشعت بالفعل غشاوتها عن عينيه ، وأخذ يهرب من الحقيقة ويلوذ بالأحلام المثالية . وكان اليأس من الأحوال السياسية هو القوة التى حفزته إلى ذلك . ونحن نعرف من خبرتنا مدى تأثير هذه القوة ، فإن الأهواء السياسية فى أغلب حالاتها عميقة ومرة قارصة حتى لتملأ قلب الإنسان ضيقاً ملحاً وبغضاً شديداً ، وتدفعه إلى ارتكاب أفعال شائنة . وقد رأى أفلاطون الشر والفوضى التى تضرب أطنابها حوله . وعانى هو نفسه مرارة التقنوط والخيبة . وكانت الأمور تزداد سوءاً . وفى وسعنا أن نتصور أن الأكاديمية — التى لا يمكن أن يختلف إليها إلا الذين يجدون فى حياتهم فراغاً — كانت مهد تذمر وتبرم . وكان مؤلف

القوانين رجلا طاعناً فى السن محنقاً متذمراً تملؤه الضغينة . يخاف الجماهير ويبغضها . ويخشى فوق كل شىء زعماءهم ويكرههم . وقد تبلورت أحكامه المبتسرة وأضحى فيلسوفاً مسناً مولعاً بالنظر المجرد حتى لتعجزه نزعته النظرية عن أن يرى شيئاً وراء الخواطر التى تصدر عن شخصيته ، أو أن يسمع شيئا وراء الأصداء التى تتخلف عن أفكاره . وأسوأ ما فى الأمر أنه — وهو النبيل الأثينى — قد أعجبه الإسبرطيون الذين سحقوا وطنه وأذلوه . لقد كان أفلاطون يرى ثورة اجتماعية — كما نراها نحن — ولم يستطع قط احتمالها . وكان أهم ما يعنيه هو : كيف يتسنى وقف تيارها ؟

ومن الصعب علينا أن نتفهم إعجابه بإسبرطة . لأن فى مقدورنا أن نقارن بين أثينا وإسبرطة مع ما يفصلنا عنهما من بعد يجعل حكمنا بطبيعة الحال نزيهاً وموضوعياً . فإذا سألنا أنفسنا عما قدمه كل منهما إلى العالم كان الجواب قاطعاً جازماً أن فضل أثينا علينا لعظيم جداً ، وأما فضل إسبرطة فمن الممكن إسقاطه من حسابنا . وهذا الحكم لم يكن واضحاً فى نظر أفلاطون وضوحه فى نظرنا الآن . فأهل أثينا كانوا يعانون مساوئ الحرب وفوضاها ، ويقاسون مرارة الهزيمة الحربية وسوء الإدارة والحكم . وليس علينا — ونحن نصدر حكمنا السالف — أن نتأثر بهذا العبء الفادح ، وفى وسعنا أن نحصر تفكيرنا فى تراث أثينا الأدبى والعلمى ، وفى تفاهة إسبرطة من الناحية الروحية . إن هذا الأثينى العظيم ليذكرنا فى امتداحه لفضائل إسبرطة ، بالأمريكيين الساخطين — وهم ليسوا عظماء بأى معنى من المعانى — أولئك الذين يمعنون فى كراهية حكومتهم حتى ليجعلهم هذا على استعداد للإعجاب بالفاشيست والنازية[٢٧] . ولكن اللغز لا يزال قائماً ، لأن أفلاطون كان فيلسوفاً ، أما هؤلاء الأمريكيون فليسوا بفلاسفة ، وإن كان الهوى السياسى قد يجعل من خيرة الناس وصفوتهم حمقى وبلها .

على أن جنون الفيلسوف عرضة لأن يصطبغ بلون فلسفى خاص . وقد رأينا

أن تصوّر أفلاطون للعالم تهيمن عليه نظرية المثال. فالعالم المرئى المتغير ليس إلا نسخة هزيلة من العالم غير المتغير الذى لا يرى . وقد امتدت هذه النظرية بطبيعة الحال إلى الأحداث السياسية التى كشفت فى فظاعة عن الفساد والاضمحلال أكثر مما كشفت عنه الأحداث الأخرى . لقد كانت السياسة الأثينية خليطاً من الاضطراب المقيت الغريب . فابتدع أفلاطون مدينة فاضلة utopia سياسية ولاذ بها . وقد قيل إن المفروض فى جمهوريته باعتبارها « يوتوبيا »[٢٨] أن تصف مدينة مثالية ، وهى بحكم تعريفه لها مدينة كاملة لا يعتريها تغير . والمدينة الإلهية من شأنها ألا تكون عرضة للفساد المطرد . وإن الإنسان ليعجب كيف تسنى لأفلاطون أن يبتدع مثل هذه المدينة الإلهية وأن يجعل المفارق للمادة مرئيًّا ملموساً . . . ؟ كيف بلغ به الغرور إلى حد أن يعتبر المدينة التى ولدت فى ذهنه هى نفس المدينة الإلهية ، وأن يظن — مع هذا — أن فى الإمكان التسليم بها كنموذج للكمال النهائى من غير أن يتناولها نقد . . . ؟

ومهما يكن من شىء فقد كان التغير والفساد فى تصور أفلاطون متعادلين . ومثل هذا يمكن أن يوصف به رجل محافظ . ولكن التعادل بالنسبة لأفلاطون كان مبرهناً عليه بنظرية المثال ، وهل يبقى مجال للشك فى دليل ميتافيزيقى قاطع كهذا ؟ ومما هو أجدر بالملاحظة أن أفلاطون كان — فيما يبدو — يعتقد أن فى الإمكان أن تقام دولة كاملة مثالية ، وأن مثل هذه الدولة يمكن أن تكون حية وأن يدوم وجودها . وأن التغير السياسى يمكن أن يتوقف . وربما حاول أفلاطون كذلك أن يوقف دوران الأفلاك السماوية . . . !

ولنتأمل دولته المثالية بدقة أكثر من ذلك . إن الجمهورية التى أنشأها كنموذج مثالى صغير . صغيرة صغر أثينا أو أكثر . فكيف يتسنى لها أن تعزل نفسها عن العالم لتتفادى سوءاته . . . ؟

وسكان هذه الجمهورية مقسمون إلى ثلاث طبقات : الحكام والجنود أو الحراس . وباقى الشعب . وهذا الباقى كان يمثل على أقل تقدير ثمانين فى

المائة من مجموع السكان . وليس من الواضح فى نظرى أكان هذا الباقى يشمل العبيد أولا يشملهم[٢٩] . والطبقات الثلاث طبقات طبيعية وليست صناعية . إنها فى الجمهورية تقارن بالنفوس الثلاث التى بها يحيا جسم الإنسان . وهى الناطقة والغضبية والشهوانية[٣٠] . فالحكام عقل الدولة ، لأن الطبقات الدنيا لا تسيرها إلا شهوات فجة . بل لعل الأصح أن نقول إن المواطنين فى جمهورية أفلاطون كانوا مقسمين إلى طبقتين اثنتين هما : طبقة الحكام ومساعديهم من ناحية ، وطبقة المحكومين من ناحية أخرى ، إذ الواقع أن الفرق بين الطبقتين الأوليين (الحكام والجنود) ليس كبيراً . ومن السهل إغفاله . فمن ذلك أن المساعدين كلما تقدموا فى السن قلت صلاحيتهم للجندية وزادت صلاحيتهم لمباشرة التأمل العقلى . وقد يرتفعون فى هذا إلى القمة . إلا أن بين الحكام والشعب هوة يستحيل عبورها . فلا يفصل بين الطائفتين فارق مؤقت من ناحية الطبقة أو المهنة . بل يقوم بينهما فارق دائم من ناحية الجنس الذى انحدروا عنه أو الطائفة التى ينتمون إليها (والمقارنة بين تصنيف أفلاطون للطبقات وتصنيف الطوائف الهندية صحيحة فى جوهرها . ولكن هذه المقارنة لا تستلزم أن نفترض أن أفلاطون كان على علم بوجود هذه الطوائف الهندية)[٣١]

وفى محاورة « السياسى » يشبه حكام الدولة بالرعاة ، وهذه المقارنة وما يشبهها تتردد كثيراً فى آثار أفلاطون . فالحكام رعاة والحراس هم الكلاب ، والشعب هو القطيع . وفن حكم الناس لا يختلف بالضرورة عن فن حكم الماشية وتربيتها .

وقد يقول الحكام «الدولة نحن» ، إنهم الدولة بحق . ولهذا فإن طبقتهم كهيئة لا يمكن أن يسوسها أحد سواها ، وعن طريق حكمتها تعرف ما هو خير لغيرها ؛ أى للسواد الأعظم من السكان .

ولضمان ضبط النفس فى هذه الأوليجاركية الوراثية ، وكفالة ولائها التام للدولة — أى لنفسها — يتعين حمايتها من العوامل التى تؤدى إلى الشقاق

والفساد ، وأهمها الجشع المالى والشراهة الجنسية . ولهذا اضطر الصفوة ، الحراس ، فى الجمهورية إلى قبول الشيوعية . والشيوعية بينهم ليست شيوعية ملكية فحسب ، بل تشمل شيوعية الزوجات والأطفال . وهذا لا يعنى العهر (الفجور) أو فوضى العلاقة بين الرجال والنساء ، بل معناه ألا يختص رجل بامرأة بعينها (مدى الحياة) وكل المواطنين من الطبقة العليا إخوة . والأطفال شيوع وأسرتهم الدولة .

وفى عصر ذهبى ابتدعت فيه أشياء كثيرة مدهشة لم ينشئها المهندسون المعماريون والمثالون وحدهم ، بل شاركهم فى إنشائها الصناع . لم يكن للصناع فى نظر أفلاطون شأن يذكر . فالعمال — من أى نوع كانوا — من الدهماء (أفراد القطيع) وهم بحكم تعريفه لهم بهائم منحطة التفكير تريد أن تملأ بطونها ، لها رغبات وليس لها مثل عليا .

ومن الغريب أن أفلاطون قد أدرك أن الرغبات والشهوات — كحب الأسرة وحب المال — عامل من عوامل الانحلال ، ولكنه لم يفطن إلى أن الشهوات الأخرى يمكن أن تكون خطرة بدورها . ومن بين الشهوات الإنسانية الرئيسة حب النفوذ أو السلطان . وليس حب المال إلا مظهراً من مظاهره . فالناس لا يحبون المال إلا من أجل السلطان الذى يهيئه المال لهم . وكان أفلاطون يخاف الملكية خوفاً شديداً ، ولا سيما ملكية المال ، ملكية الذهب والفضة . ولكن : هل إذا بطلت قيمة المال ، أى إذا فقد المال قوته الشرائية ، اختفى الجشع . . ؟ طبعاً لا ، فجشعهم يكيف نفسه طبقاً للظروف الجديدة . إن الطمع فى السلطان لا يمكن استئصاله من نفوس البشر ، وحتى حين تهيأت السلطة للصفوة (الحراس) وكانوا سادة الجماهير بصورة قاطعة ، أمكن مع هذه السيادة أن توجد بينهم — وكانت موجودة حتما — وجوه نزاع قائم حول السلطان . ولا بد أن أفلاطون قد رأى شواهد عدة تدل على صحة العبارة التى كثيراً ما تعزى إلى اللورد أكتون : « السلطة تفسد ، والسلطة المطلقة تفسد قطعاً » . ومع هذا ليس ثمة دليل على أنه توصل إلى هذه النتيجة .

وقد قارن بعضهم بين رفض أفلاطون للملكية والأسرة فى سبيل تقوية الصفوة . وبين الفاقة والعفة اللتين فرضتا على الأكليروس الكاثوليكى ونظم الرهبنة . ولكن المقارنة باطلة من وجوه كثيرة . ومن الحق أن نقول إن الزهد الأكليريكى ليس مسألة نظام وضبط للنفس فحسب . بل هو أيضاً وسيلة للابتعاد عن العلمانيين . وأداة لمراقبة ذلك مراقبة دقيقة . ومع هذا فإن الغرض الذى يهدف إليه دينى خالص وأخوىّ محض . إنه لا يختلط ولا يصح الخلط بينه وبين أى رغبة تهدف إلى ضبط سياسى أو اقتصادى . ورجال الأكليروس والرهبان ليسوا حكام الدولة بل هم خدامها .

ومن الضرورى أن نؤكد أن الشيوعية المتكاملة عند أفلاطون كانت مقصورة على الطبقات العليا وحدها . أما الطبقات الدنيا فإنها لا تفتقر فى نظره إلى مزاولة الأخلاق العالية . ولهذا كان من حقها أن تنغمس فى شهواتها ما طاب لها ذلك . بشرط أن يلتزم أفرادها الهدوء والطاعة وأن تكون آراؤهم طيبة[٣٢].

ولا يمكن فهم شيوعية أفلاطون إلا إذا لاحظ أنها رد فعل أرستقراطى لرأسمالية عصره المتضخمة . لقد كان يشق على الأرستقراطيين القدامى أن ينازعهم ويأخذ مكانهم الأثرياء المحدثون الذين كثيراً ما كانوا من أهل العادات الوضيعة والطبقات المنحطة . بل حتى من العبيد[٣٣] .

إنه ليشق كثيراً على أى فرد من الصفوة أن يشعر بأن طارئاً يطرده من طبقته ويخرجه من زمرته . فإذا كان المال يستطيع أن يقضى على التمايز الطبيعى بين السادة وغيرهم . فليذهب المال إلى غير رجعة . وأصعب من هذا فهم شيوعية أفلاطون فى النساء والأطفال . أى تحطيم روح الأسرة عند صفوة الناس تحطيما حقيقيا . إن الجمهورية من وضع رجل متعصب محنق متذمر . ومع هذا يصعب الاعتقاد بأنه استطاع المضى فى تعصبه وقسوته إلى هذا المدى . إن أفلاطون لم يتزوج أبداً . ولكن له أمًّا وأباً وأسرة خاصة . فهل أساء أبواه معاملته ؟ إن الإنسان لا يملك إلا أن يدهش لذلك . وتعصب الرجل المهذب يصدر فى

العادة عن سبب محدد معروف ، وشيوعية أفلاطون فى الملكية يمكن تفسيرها بعدم انخداعه بالثراء الفاحش وباشمئزاز منه . أما شيوعية النساء والأطفال عنده فلا يمكن تفسيرها بنفس هذه الطريقة. إنى لا أستطيع تفسيرها أبداً إلا بالانحراف الجنسى .

أيوجد رجل سمح فى طبيعته لم يقاس فى أعماق قلبه من مضرة المال ولعنته . ولم يتمن لو استطاع أن يستأصله من الوجود . . ؟ أيوجد رجل سمح النفس لم يجد فى محبة أسرته عزاء وسلوة عن آلامه المبرحة ؟ . . فكيف يتأتى لإنسان أن يقضى فى نفس الوقت على أسوأ شرور الحياة وأعظم نعمها . . ؟ إن هذا هو بالضبط ما فعله أفلاطون ، أو ما حاول أن يفعله ، على أقل تقدير .

مشكلة أفلاطون السياسية :

كان من الخير وضع جمهورية مثالية ، ولكن فيلسوفاً ميتافيزيقياً يحترم نفسه — كأفلاطون — كان عليه أن يبرهن على أن مثل هذه الجمهورية يمكن أن توجد بالفعل وأن يستمر وجودها. أنّى يجد الإنسان صفوة من الناس تستحق مثل هذا الوضع السامى ولا تسىء استعماله . . ؟ ولما كانت الصفوة قلة (ولنقل إنها خمس السكان أو أقل) فإن من المتعذر عليها أن تحتفظ بامتيازاتها الضخمة إلا متى كانت من القوة والمنعة بحيث تستطيع أن تحميها من عدوان الكثرة الغالبة من الناس .

هذه الصفوة كانت طبيعية ، إنها كانت موجودة بالفعل . وكل ما افتقرت إليه هو أن تجد ما يقويها ويوحد أفرادها . وقد كان أفلاطون أقدم باحث فى تحسين النسل[٣٤]، فهو يرى أن على الإنسان أن يبدأ بسلالة كبيرة من الناس ، وأن يأخذ فى تربيتهم على نحو ما تربّى الماشية ، فإن الأسر التى تكون على رأس الدولة تمثل سلالة يجرى فى دمها الشرف والنبل . ولا يملك الإنسان إلا أن يعجب لسذاجة أفلاطون ، فإننا لا نستطيع أن نكون على يقين من أن الرجل الذى

يحسن مولده يكون لا محالة رجلا صالحاً خيراً . بالغة ما بلغت العلاقة المتبادلة بين المولد الطيب والخلق الكريم ؛ وقد استطاع أفلاطون نفسه أن يذكر كثيرين من الأرستقراطيين الذين كانوا — مع أرستقراطيتهم — مثاراً للاحتقار والافتقار إلى ثقة الناس .

بل لنفرض أن لدينا مجموعة كبيرة من الناس نريد أن نأخذ فى تربيتهم ، إن مشكلة تحسين النسل تتحقق بالمحافظة على نقاء بذورهم ما أمكن. وعلى أفضل الأسر أن تنجب من الأطفال ما يكفى حاجة الدولة ؛ لا أكثر من ذلك . ومع هذا فإن طيب مولد هؤلاء الأطفال لا يكفى ، بل لابد من أن تراعى فى تربيتهم منتهى العناية والدقة . وقد كان أفلاطون مقتنعاً بقيمة التربية فى تكوين الأطفال ؛ إلى حد أن وقف شطراً كبيراً من جمهوريته على التربية . فالجمهورية تعتبر — إلى حد كبير — بحثاً فى التربية السياسية ، وهى التربية التى لا يراد بها الطبقة الحاكمة وحدها .

يجب أن يمتاز حكام المستقبل بالقوة ودماثة الخلق فى وقت واحد ، وعلينا أن نذكر هذا الهدف المزدوج دواماً ، وهذا يقابل فى التربية الرياضة البدنية والموسيقى . وتتضمن أولاهما كل التمرينات البدنية التى تساعد على تكوين رجال أشداء ومحاربين ممتازين ، أما الثانية فلا تعنى مجرد الموسيقى كما نفهمها ، بل يراد بها الفنون الجميلة bonae litterae والإنسانيات بوجه عام [٣٥] ، والموسيقى بالنسبة للنفس كالرياضة البدنية بالنسبة للجسم . وكانت منظمة كل التنظيم ، فلا تباح فى الجمهورية مزاولة موسيقى الجاز ، بل يسمح فقط — فى حالات معينة محددة — بالموسيقى التى تبعث على القوة وتوحى بالفضيلة . وينسحب هذا نفسه على الفنون الجميلة والشعر ، فلا يباح فى الجمهورية إلا شيوع نوع معين من الأشعار ، وهومر نفسه وهو معلم هيلاس Hellas يتعين استبعاده من المدينة [٣٦] . ولا يزوّد الشباب بالآداب اليونانية القديمة إلا بعد أن تخضع هذه الآداب للرقابة والتكيف مع مطالب الشيوعيين الصالحين (الحراس) . بل إن الشعر والفن والموسيقى يتحتم أن تكون

مسايرة لمقتضيات السياسة . ويريد أفلاطون «الإلهى» أن يستبعد جميع الآداب اليونانية على وجه التقريب . وأن يستأصلها من الجمهورية . وأن يحرم كل الأشياء التى تخطر لذهننا إذا تحدثنا عن مجد اليونان . مع استثناء الرياضيات . ومن هذه الناحية كاد أفلاطون يكون فى نفس المستوى الذى كان فيه أمثال توماس باودلر Thomas Bowdler وأدولف هتلر Adolf Hitler من نقاد الأدب والفن العظام !

ومع أن أفلاطون كان منغمساً فى السياسة حتى أذنيه . فإنه وقف القليل من تأملاته على الاقتصاديات . فرأى أن تترك الأعمال والتجارة للطبقات الدنيا . ولكن كيف يتسنى للطبقات العليا أن تعيش .. ؟ إنهم سيكونون أصحاب الأرض وملاك العبيد . لم لاتقوم الطبقات الدنيا بالأعمال من أجل هؤلاء الأرستقراطيين؟ إن مثل هذه الأمور التافهة لم تكن تستحق أن يقلق من أجلها هؤلاء . يقول أرسطو[٣٧] « إن خمسة آلاف محارب » كما ورد فى كتاب « القوانين »[٣٨] « سيحتاجون إلى إقليم من الأرض فى مساحة بابل لكى تتسنى إعالة مثل هذا العدد الضخم من الناس فى بطالتهم مع نسائهم وخدمهم »، ثم يقول أرسطو «عند وضع مثال أعلى لنا أن نفترض ما يحلو لنا لكن علينا أن نتجنب المستحيلات».

كيف تسنى لأفلاطون أن يتصور لحظة من الزمن أن مثل هذه الدولة على النحو الذى تبدو عليه فى الجمهورية (أو حتى فى صورتها المعتدلة فى كتاب القوانين) يمكن أن توجد فعلا ؟ إننا سنعود بعد قليل إلى الحديث عن مسألة القيادة . ولكن فى وسعنا الآن أن نلاحظ أننا إذا افترضنا أن الحكام الأول الذين يتولون حكم هذه الجمهورية الغريبة كانوا من الحكمة والقدرة بحيث يستطيعون المحافظة على بقائها . فكيف نطمئن إلى حكمة الذين يخلفونهم فى الحكم . ربّ معترض يقول إن الجمهورية مدينة مثالية . فهى من وحى الخيال . بيد أننا نتوقع لا محالة من أحلام فيلسوف أن تقوم على نوع من التناسق والمنطق . وقد كان مثال أفلاطون مثال ثبات وعدم تغير . أما جمهوريته

التى تصورها فقد كانت بالضرورة عرضة للتغير وعدم الثبات .

ويمكننا أن نقف هنا لحظة ، ونسأل أنفسنا : من أين استمد أفلاطون إلهامه . إن المصادر الأولى التى ألهمته هذا الموقف كانت كراهيته للسياسة الأثينية واستحسانه لنظم الدوريين Dorian فى كريت وإسبرطة . وكان تصوره لنظم إسبرطة فى صورة مثالية تصوّراً لا يقبل . ومع هذا كان متحمساً له حماسته فى معاداة النظم الأثينية . ولم تبق معرفته بالسياسة نظرية خالصة . بل لاحظ أثناء رحلاته وإبان تقلبات حياته السياسية اختلافات لا حصر لها بين المدينة الكاملة التى لم توجد إلا فى ذهنه . والمدن الموجودة فى العالم فعلا . وقد صنف الحكم فى المدن الموجودة بالفعل إلى ست مجموعات هى :

المونارکية المستبدة (حكم حاكم فرد مستبد عادل) . والمونارکية الدستورية ، والأوليجركية (حكم الأغنياء) والديمقراطية (حكم الكثرة) والفوضوية والطغيان . وهذه الصور من الحكم قد تخلف إحداها الأخرى . وأخيراً قد تبدأ الدورة كلها من جديد . وقد جاء هذا بحثاً اجتماعياً رائعاً . يمكن أن يعد أفلاطون من أجله أول عالم اجتماع . وأقدم باحث عرض لدراسة تاريخ الدستور . ويقدم لنا فى كتاب القوانين[٣٩] تاريخاً لاضمحلال إيران وسقوطها . يعتبر أول تحليل من نوعه . بل لقد جمع مادة غزيرة من المعارف التجريبية حين كان مستشار « ديونيسيوس » Dionysios . ولكن لابد من أن نعترف بأن تدخله فى سياسة سيراكوز كان مجلبة سوء لكل من كان يعنيهم ذلك .

لم تكن تنقص أفلاطون إذن الخبرة السياسية . بل ربما كانت خبرة كافية . ولكنه كان مسرفاً فى نزعته النظرية إلى حد عاقه عن الإفادة من خبراته . وكانت ضغينته السياسية عنيفة مرة ، وأحلامه ، قوية جداً إلى حد أنها تتأثر بالحقائق المتغيرة الزائلة .

والعقيدة الأساسية فى السياسة عند أفلاطون ، هى سيادة الدولة سيادة مطلقة . فالدولة وحدها يمكن أن تكون كاملة وأن تكفى نفسها . ولا يكون الأفراد إلا ناقصين . إنهم نسخ ناقصة للدولة . والدولة وحدها يمكن أن تبقى ثابتة غير

متغيرة . أما الأفراد فمصيرهم إلى الزوال فى تعاقب سريع . ومن هنا وجب أن يخضع الفردللدولة ، وأن يضحى عند الضرورة فى سبيلها . هذه نظرية صالحة فى الشيوعية والحكم المطلق .

ولكن كيف يمكن أن تكون الدولة كاملة ما لم تكن من خلق الله ذاته؟ إنها لابد أن تكون ناقصة إذا كانت من وضع أفلاطون . وكيف يمكن تقريبها إلى الكمال إذا لم يسمح بنقدها والعمل على تغييرها .

العيب الأكبر فى الدولة التى تحكم حكماً استبدادياً — إذا قورنت بالدولة الديمقراطية — هو صعوبة وجود نقد مستقل فيها يصدر عن صدق وإخلاص بل استحالة هذا النقد . ومن الممكن أن نلتمس لأفلاطون العذر فى عدم إدراكه ذلك فى وضوح وقوة كما ندركه نحن الآن[٤٠] .

ونود ونحن ننتقل إلى الحديث عن القديس « توماس الأكوينى » Thomas Acquinas (فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر) أن نقدم احترامنا له لأنه كان — فى شرحه لكتاب أرسطو فى السياسة — أول من قال فى قوة بخضوع كل جماعة لأعضائها ، وكل حكومة لرعاياها . وأفلاطون معذور أكثر من هذا إذا نحن ذكرنا الشرور التى اقترفتها الحكومات الاستبدادية المطلقة حتى بعد عصر القديس توماس ، ولم تقترف على نطاق واسع ، ولا يمثل الطريقة الطاغية أو العلمية كما يقولون ، كما تقترف فى أيامنا الحاضرة .

القيادة :

بيّن أفلاطون فى وضوح أن ليس يكفى أن توجد طبقة حاكمة . بل يتعين أن يكون لهذه الطبقة رئيس ، قائد مطلق ، وبغير وجود قائد يتولى رياستها لايتيسر لها البقاء . ومن ثم كانت المشكلة التالية هى : من ذا الذى سيكون القائد . والنتيجة التى توصل أفلاطون إليها هى أن الفلاسفة يجب أن يصبحوا ملوكاً ، أو أن يكون الملوك فلاسفة ، وإلا « فلن تتوقف القلاقل فى دولنا . ولا فى الجنس البشرى فيما أظن[٤١] » . ألم يتعلم أفلاطون شيئاً أثناء وجوده فى سيراكوز كيف أمكنه أن يتخيل إمكان هذا الاقتران (بين الملك والفلسفة)؟ أى فيلسوف

— سوى أفلاطون فيما يبدو — هذا الذى يريد أن يصبح ملكاً . وكيف يتسنى للملك أن يجرد نفسه من نزعاته وأعبائه اليومية ليصبح فيلسوفاً. إن وجود مثل هاتين المهنتين المختلفتين فى شخص واحد ، وفى وقد واحد ، ليس أقل من معجزة .

لقد اعتقد أفلاطون أن هذه المشكلة يمكن أن تحل بوضع قوانين ونظم لتربية قادة للمستقبل ، فوقف كثيراً من أجزاء الجمهورية على بيان هذه التربية . وكانت نتيجة هذا إتلافاً واضحاً للتربية نظريًّا وعمليًّا .

ومهما يكن من شىء فإن القائد متى انتخب ، وجبت طاعته فى ثقة كاملة حتى فى أتفه الأمور . يقول أفلاطون :

« تقتضى الغزوات الحربية كثيراً من التبصر وسن القوانين . ورأس هذا كله أن يكون لكل من الجنسين قائد ، وألا يتعود عقل أحدهما أن يقدم على فعل ، مازحاً أو جاداً ، بباعث من نفسه ، بل يتعين عليه — فى حال الحرب أو السلم — أن يتطلع إلى قائده وأن يتبعه حتى فى أتفه الأمور ، على اعتبار أنه يعمل تحت قيادته . فمن ذلك أنه يستجيب لأمره حين يقف أو يتحرك أو يغتسل أو يتناول وجبات طعامه . أو يسهر ليلا ليقوم بالحراسة ، أو يتسلم الرسائل متى تلقى بذلك أمراً . ومن واجبه فى ساعة الخطر ألا يتقدم أو يتقهقر إلا بأمر من قائده ، وبالاختصار ألا يعلم نفسه أو يعودها أن تعرف أو تفهم كيف تأتى فعلا وهى مستقلة عن غيرها »(٤٢) .

إن الحكام الذين يحكمون حكماً استبداديًّا مطلقاً يستهدفون على الدوام لخطر القمع العنيف ، ولا يستطيعون أن يحتملوا من أتباعهم المقربين استقلال التفكير وأصالته . وهم محوطون بالمنافقين والمرائين ، وأولئك بطبعهم من أواسط الناس وجبنائهم . فأين ينتظر أن يوجد خلفاء لهم ؟ هذا إشكالا لا يجد حلا . وأحسن حل عملى له هو الاعتماد على نظام الوراثة ، وتحديد الخلافة بقانون الدولة الآلى . كما حدث فى الموناركيات الاستبدادية المطلقة التى تجددت فيها

الخلافة بقانون إلهي . ولكن حتى هذا الحل فيه مغامرة مخيفة .

ليس هناك طريقة مأمونة لاختيار الحاكم . وإذا لم يكن الحكم وراثيًا كان الحاكم عمليًا هو الذى يختار نفسه . ويقبض على ناصية الحكم ، ويروّع المعارضة بسحر شخصيته ودفاعه الغلاب عن نفسه .

ومن أحسن ما جاء فى الكتاب القيم الذى وضعه « پوپر »[٤٣] ذلك الجزء الذى أبان فيه أن أفلاطون حين وضع مشكلة السياسة فى صورة مسألة تنذر بالسوء هى : « من هذا الذى سيتولى حكم الدولة » . حين أبان أفلاطون عن هذه المشكلة على هذا الوضع . أوجد فى الفلسفة السياسية بلبلة مستمرة وحيرة دائمة . ولعل السؤال الفطن الأكثر جدوى هو : « كيف يتسنى لنا أن نقيم نظمنا السياسية بحيث تمنع غير الأكفاء ، والأشرار من الحكام ، من إحداث أخطار جسيمة » .

ويتعين علينا فى هذه الحالة — كما يتعين فى كل الحالات — أن نرتد إلى التربية . إذ لا يكفى أن تكون النظم أفضل ما يمكن ، بل يتعين حماية هذه النظم وتحصينها . والرجل الصالح الذى نفتقر إليه لا يمكن أن ينشأ إلا فى ظل تثقيف ملائم لتحقيق هذا الغرض . وغرض التربية لم يعد الغرض الأفلاطونى المنحرف الذى ينتهى بخلق قادة ، وإنما أصبح هدفاً أميناً يتمثل فى خلق رجال خيرين أفاضل . وبمرور الزمن يصبح أحسن هؤلاء — أو بالأحرى أصلحهم للسياسة — حكاماً . ولكن حتى مع هذا يجب أن يكون السلطان مقيداً بزواجر دستورية .

السياسة والعلوم الرياضية :

سنعرض فى الفصل التالى لمناقشة الرياضيات عند أفلاطون . ولكن من الممكن التمهيد لهذه المناقشة ببضع ملاحظات تتصل برياضيات تفكيره السياسى . إن الرياضيين الذين يعالجون اليوم المشاكل السياسية يعرضون لها من الناحية الإحصائية أو الاقتصادية . وما كان من الميسور أن يعالجها أفلاطون من هذه

الناحية. إذ لم يكن له أدنى إلمام بالإحصاءات . ولا اهتمام بالمسائل الاقتصادية من أى نوع كان . بل يبدو أنه لم يفطن إلى أن العوامل الاقتصادية قد تؤثر فى الحياة الخاصة والعامة . ومع هذا فما كان فى وسعه أن يغفل عن القلاقل التى تنشأ فى محيط الأسر والشعوب عن المتاعب المالية . لأن مثل هذه المتاعب إذا ظهرت بدت من الوضوح وإثارة الانتباه بحيث لا يتيسر إهمالها . وليت شعرى ألم يحدث أن كان على أفلاطون أن يواجه التزامات مالية شخصية أو تخص من يعنيه أمرهم . أو لم يكن لهذه الالتزامات عنده أية دلالة ؟ .

ولم تكن طريقته فى معالجة المشاكل السياسية حسابية بالمعنى الذى نفهمه . بل كانت هندسية . فسرّ الكون فى نظره نظام وقياس . وقد بسط هذا التصور حتى شمل كل شىء يتصل بتدبير المنزل أو المدينة . وفعل هذا فى غير اعتدال . فكل شىء فى المدينة الكاملة يتحتم تنظيمه . ولا يمكن أن يعرف تغير قبل حدوثه . ومن أجل هذا ليس فى حياة هذه المدينة فرصة يمكن أن تنتهز . ولا مجال لاختيار . ولا مكان لشىء غريب مخالف للنظام . فالمدينة تقوم بوظيفتها كما تؤدى الآلة الميكانيكية عملها . وهو يعالج فى بعض فصول « القوانين » تنظيم الحياة الخاصة بكثير من التفصيل والإسهاب . وقليل جداً من التحفظ . إلى حد أنها تبدو فى نظر الرجل الحديث قبيحة تشمئز منها النفس .

ويستخدم أفلاطون فى جدله أحياناً كلمات تشبه أن تكون رموزاً هندسية ؛ ومن هذه الناحية كان اعتباره أقدم سلف لمناطقة اليوم الرمزيين (أو الرياضيين) .

لا حرية ولا حق فى الجمهورية :

إذا أخذنا فى اعتبارنا النمط الرياضى البادى فى جمهوريته . ظهر لنا أن ليس للحرية فيها مجال . إن الحرية إنكار للفضيلة . وعلى كل إنسان أن يعرف مكانه وأن يلزمه . وعليه أن يعرف واجبه وأن يقوم بأدائه . وليس فى وسع أحد أن يختار مكانه ولا واجبه . بل إن الحاكم نفسه ليس حرّاً . وإن لم

يكن فى مقدور أى فرد أن يراقبه، لأنه هو وحده الذى يراقب نفسه ، وعلى كل امرئ أن يهتم بشئونه الخاصة ، ويتبع هذا النظام الاجتماعى إلى أقصى حد .

وفى « القوانين »[٤٤] حرم على الشباب أن يتعرضوا لنظم المدينة بنقد وفى وسع الشيخ المجرب أن يفعل ذلك ، على ألا يكون فى حضرته عندما يعلن نقده شاب .

وتهيمن على التربية رقابة . فيتعين ألا يجد المواطنون — شباباً وشيباً — فرصة يتسنى لهم فيها أن يقرءوا شيئاً لم تقره الدولة ، ولا أن ينصتوا إلى أحاديث تتنافس مع قوانين المدينة ونظمها . ولا أن يستمعوا إلى موسيقى غير مناسبة .

عندما زار والدو فرانك Waldo Frank موسكو ، تحدث إلى شاب ميكانيكى وقال له : « إن فى نيويورك صحفاً يجد فيها المرء كل صباح صدى لكل ما يمكن أن يصدر من أحكام فى الموضوعات المختلفة »[٤٥] فأجابه الشاب بقوله : « إنى لا أرى لهذا نفعاً ، فإن لكل مشكلة حلا صحيحاً . والصحافة — فيما يبدو لى — تؤدى للناس خدمة أفضل من هذا إذا كانوا يجدون فيها كل يوم الرأى السديد فى الموضوعات الهامة ، ولا تنشر عليهم غير ذلك . ما قيمة نشر كثير من وجهات النظر المختلفة ، بينما نعرف أن وجهة نظر واحدة منها هى وحدها الصحيحة ؟» .هذا الجواب كان يمكن أن يسر أفلاطون . وإذا سأله سائل عن أى وجهات النظر هو الصحيح ، أجابه فى غير تردد : «هى وجهة نظر الدولة » .

ومن الخير أن أفلاطون لم يكن دكتاتوراً إلا فى أحلامه . ولو كان حاكماً مطلقاً لهوّن من دكتاتوريته عجزه من الناحية الفنية . إن ما يسميه الفرنسيون « حشو الدماغ » قد تحقق فى يسر ووضوح عندما قامت الحكومات الحديثة بالسيطرة على الصحافة والتلغراف والتليفون والإذاعة والتليفزيون . ولم تكن هذه الرقابة ميسورة إبان العصور القديمة ، فالرقابة التى يفرضها أفلاطون لم يكن من الميسور ، بالضرورة ، أن تكون كاملة ، فإن شباك رقبائه ومفتشيه تملؤها الثقوب .

وهدم الحرية يتضمن لا محالة القضاء على الحق ، إذ لو أصبح واجب الحاكم ألا يزوّد المواطنين بغير الأفكار النافعة، وجب أن تغربل هذه الأفكار، وأن تتدرج وفق مراتبها ، وعندما يلقى إلى الناس شطر من الأنباء فقط ، يكون هذا كذباً ، ولكن أفلاطون لم يقف عند ذلك، « فالأكاذيب المناسبة » و « الأكاذيب النبيلة »[٤٦] قد تكون ضرورية ، لا لكي تخدع الشعب فحسب، بل لكي تخدع الصفوة كذلك، وليس ثمة شك فى هذا ، فإن الحاكم المطلق يتعين عليه أن يكذب، أو يتعين على معاونيه أن يكذبوا له (فالنتيجة واحدة فى الحالتين) فكيف تسنى لأفلاطون أن يوفق بين هذه النتيجة ونظرية الملك الفيلسوف ؟ فالفيلسوف يحب الحق ، وإذا كان يتعين على الملك أن يكذب — حتى ولو كان ذلك عرضاً — فكيف يتقبل هذا الفيلسوف الكامن فى هذا الملك . إن طلب الحق ومزاولة السلطان المطلق أمران متنافيان تماماً .

وكما يقول « پوپر » :

> كان لسقراط خليفة جليل واحد، هو صديقه القديم « أنتستنيس » Antisthenes آخر الجيل العظيم . أما أفلاطون أعظم حواريه الموهوبين فسرعان ما أثبت أنه أقلهم أمانة لمذهبه ؛ لقد خان عهد سقراط كما فعل أعمامه ، فإن هؤلاء إلى جانب أنهم خانوا سقراط حاولوا أن يوقعوه فى أعمالهم الإرهابية، ولكنه قاوم محاولتهم فأخفقوا فى تحقيقها . وقد حاول أفلاطون أن يقحم سقراط فى محاولته الضخمة التى أراد بها إقامة نظرية المجتمع غير المتحرك، ولم يتعذر عليه النجاح لأن سقراط قد مات .

> أنا أعلم بالطبع أن هذا الحكم سيبدو صارماً قاسياً حتى فى نظر نقاد أفلاطون ولكننا إذا اعتبرنا محاورتى « الدفاع » و« كريتون » معبرتين عن رغبة سقراط الأخيرة . وقارنا بين هذه الوصايا التى كانت فى شيخوخته ، وبين وصية أفلاطون فى كتاب « القوانين » ، وجدنا من اليسير أن نصدر حكماً غير الحكم الذى أسلفناه . لقد أعدم سقراط ،

ولكن موته لم يقصد إليه الذين قدموه إلى المحاكمة . أما « قوانين » أفلاطون فقد تفادت الحاجة إلى هذا القصد، وأعدت فى هدوء وعناية نظرية التفتيش ، وأعلنت أن التفكير الحر ، ونقد النظم السياسية ، وتعليم الشباب أفكاراً جديدة ، والقيام بمحاولات لإدخال عادات دينية بل آراء دينية ، كل تلك جرائم تستحق الإعدام. وفى دولة أفلاطون ما كان يمكن أن يمنح سقراط فرصة الدفاع عن نفسه علانية أمام الجماهير ، بل كان ينتظر أن يسلم إلى المجلس الليلى « لعلاج » روحه المريضة ، ثم لإيقاع العقاب بها آخر الأمر (٤٧) .

منذ بدأ أفلاطون فكرة الحق المتعالى على الطبيعة المحسوسة ، كما تعبر عنها المثل الأبدية ، هبط تدريجيًّا إلى مستوى الدعاية ، وأساليب التفتيش ، وإباحة الكذب المفيد . ومن النظرة الأولى تبدو هوة بين الحق المطلق والكذب الصراح. ولكن أفلاطون عبرها دون أن يدرك فيما يظهر احتياله لتحقيق ذلك . قارن بين التواء تفكيره ووجهات نظر العلماء : فنحن نبذل أقصى جهد فى الوصول إلى الحق عن طريق خطوات متعاقبة توصلنا إليه رويداً رويداً . ولا ندّعى أننا وصلنا ، بل نواصل سيرنا إليه ، ونقترب منه تدريجيًّا . إننا لا نبدأ بالحق كله ، ولكننا ندركه شيئاً فشيئاً ، وهذا مستحيل بغير حرية . إن الحق ليس — كما ظن أفلاطون — مثالا ابتعدنا عنه ، إنه مثال نتقدم نحوه باستمرار . إنه هدف وغاية ومن ثمّ كان ديمقراطية خالصة .

ديانة أفلاطون :

أقام أفلاطون فى دولته المثالية « ديانة تختلف اختلافاً بيناً عن الديانة الشائعة ، ورأى أن يكره المواطنين جميعاً على الاعتقاد فى آلهته ، وإلا كان عقابهم الإعدام أو السجن . وكل حرية فى المناقشة محرمة تحت النظام الحديدى الذى فكر فيه . ووجه الطرافة فى منحاه أنه لم يكترث كثيراً لكون الديانة حقيقية أو غير حقيقية . وإنما اكتفى بالتعويل على أثرها فى الناحية الخلقية . لقد كان مستعدًّا

لترقية الأخلاق بالخرافات ، واحتقر الأساطير الشعبية لا من ناحية زيفها وبطلانها ، بل من ناحية أنها لا تفيد فى سبيل الاستقامة[٤٨] » .

افتقار أفلاطون إلى النزعة الإنسانية :

إن المثل الأعلى للكمال المتحجر والشيوعية عند أفلاطون لم تنشأ عنهما كراهية الحرية وحدها ، بل ترتب عليهما مقت النزعة الفردية فى كل صورها . وحملته على النزعة الفردية ملتوية ماكرة . وللتعبير عنهما فى إيجاز ما أمكن نقول إن النزعة الفردية قد تتعارض مع النزعة الجماعية ، وتتنافى الأنانية مع الغيرية[٤٩] أما تحليل أفلاطون ولعبه بالألفاظ (ونرجو أن يكون قد جاء عفواً) فيبدو فى التسوية بين الحدين الأولين والحدين الأخيرين فى هذه المتقابلات (أى بين الفردية والأنانية ، وبين الجماعية والغيرية) ، ومن ثم ننتهى إلى أن الفردية تتنافى مع الغيرية ، وهذا يحتاج إلى برهان . ويتعين على الإنسان أن يكون فى نظره شيوعيا وإلا كان حيواناً أنانياً ! وقد كان اتجاه التقدم السياسى كله منذ عهد القديس توماس حتى أيامنا الحاضرة يقوم على عكس هذا فى ربط النزعة الفردية (حرية الضمير) بالغيرية .

ولم يرفض أفلاطون النزعة الفردية فحسب ، بل إنه لم يشعر باحترام للشخصية . وقد بدا هذا واضحاً فى الفقرة التى اقتبسناها عن كتاب « القوانين »[٥٠] من قبل ، وتشهد به فقرات أخرى كثيرة ، نضيف إليها الفقرة التالية من الكتاب نفسه :

> « إن أول وأسمى صورة من صور الدول والحكومات والقوانين هى الصورة التى فيها يسود المثل القديم الذى يقول : [كل الأشياء تكون بين الأصدقاء على الشيوع] . وهذه الشيوعية فى النساء والأطفال والملكية — سواء أكانت موجودة الآن فى أى مكان أو ستكون موجودة يوما ما — هذه الشيوعية التى تختفى معها فردية الإنسان وخصوصياته وتتلاشى ، كذلك الأشياء التى هى بطبيعتها خاصة به كالأعين والآذان والأيدى بحيث تصبح على الشيوع ، فيشترك الناس فى النظر والاستماع

والتصرف ، بحيث يعبر جميع الناس عن المدح والذم ، ويشعرون جميعاً بالابتهاج والأسف فى ظروف واحدة ، وبحيث تعمل القوانين على توحيد المدينة إلى أقصى حد ، سواء أكان هذا ممكن التحقيق أم غير ممكن ، فإنى أصرح بأن ليس ثمة إنسان يعمل بمقتضى أى مبدأ غير هذا المبدأ الشيوعى ، يستطيع أن ينشئ دولة مثالية يمكن أن تكون أصدق أو أفضل أو أسمى فضيلة من هذه الدولة الشيوعية »[٥١].

ومما يبدو من المتناقضات أن يعد الكاتب الذى كره النزعة الفردية كداعية من دعاة النزعة الإنسانية . بل ذهب بعض المتحمسين له إلى أبعد من هذا ، فاعتبروه أصلا انحدرت منه المسيحية مع أنه أخضع الفرد للدولة إخضاعاً كاملا حتى كادت فلسفته تصبح فلسفة غير إنسانية . ومع هذا فإن خداع النفس عنده كان من العمق بحيث أفضى به إلى تسمية «الجمهورية» العدالة ، وتخصيص جزء كبير منها للبحث فى العدالة المجردة .

ما العدالة ؟ إنها ما يكون فى مصلحة الدولة . فالمدينة عادلة حين تكون الطوائف محددة وغير قابلة للتغير ، وحين يلزم كل فرد مكانه الملائم له ، وحين يتقبل جميع الناس طواعية مبدأ الطبقة الحاكمة ، والامتياز الطبقى . والمدينة التى أحسن تنظيمها ، والتى لا تقبل التغير ، هى رمز العدالة الأبدية . وقد اختير تعريف أفلاطون للعدالة لكى يؤيد نظام الحكم الاستبدادى المطلق ، بينما كانت الفكرة الشائعة بين الناس عن معنى العدالة على العكس من هذا التعريف ، ومن ثم فنحن نواصل الدوران فى حلقة مفرغة .

وتوجد أحياناً وجدانات إنسانية فى كتابات أفلاطون ، ولا سيما فى المحاورات السقراطية الأولى . فمن ذلك ما نراه فى محاورة كريتون ، عند ما يقول إن احتمال الظلم خير من ارتكابه . ولكنه لم يدرك قط أن فكرة الإنسانية هذه أسمى وأبقى من المدينة المتبلورة فى أحلامه . فلندع الإنسانية تذهب ضحية فى سبيل المدينة ، وإلا فإن المدينة تتداعى وتنهار .

إنه لم يستطع أن يفهم أن العدالة يتعين ألا تنفصل عن المحبة ، فالمحبة بغير

عدالة ضلال وخطر ، والعدالة بغير محبة تفقد ما فيها من معانى الإنسانية ، والعدالة المجردة قريبة من الظلم قرباً ينذر بالخطر .

ونحن لا نملك توجيه اللوم إلى أفلاطون لكونه غير مسيحى ، ولكنه خليق بالملامة لأنه ضحى فى سبيل معتقداته السياسية بالمثل العليا السمحة التى دان بها بيركليس Pericles وديموكريتوس و سقراط وتلامذة جورجياس الكيداماس Alcidamas وليكوفرون Lycophron و « أنتستنيس »Antisthenes[٥٢] وبسبب هـــذه التضحية الجريئة جعلت عنوان هذا الجـــزء من كتابى : « الخيانة الكبرى » . إنها لم تكن خيانة للديمقراطية الأثينية وحدها ، بل خيانة للأستاذ الذى كان أول مرشد له ، والذى أولاه حبه . والواقع أن كثيراً من الحجج التى قيلت فى مهاجمة الديمقراطية وضعها أفلاطون على لسان سقراط . لقد جعل أفلاطون أستاذه القديم يقول عكس ما علمه . فهل بلغ خداع النفس عنده حداً لم يستطع معه أن يميز بين سقراط الحقيقى ، وسقراط الذى خلقه وهمه[٥٣] .

أيمكن أن تكون هناك خيانة أبشع من هذه الخيانة ؟. إن أفلاطون لم يتنكر لأستاذه ، ولكن ما فعله كان أسوأ من هذا ، فقد عرض فى مؤلفاته الأخيرة صورة هزلية لسقراط كانت تشويهاً معيباً له . ولنكرر ما قلناه من قبل من أن سقراط كان ديمقراطيًّا ، مؤمناً بالنزعة الفردية ، داعياً إلى المساواة ، وقد صار أفلاطون بالتدريج على نقيضه فى كل هذا . كان هم سقراط الأكبر أن يعلم محاسبة الإنسان نفسه ، وكان دائماً أبداً على استعداد للاعتراف بجهله . أما أفلاطون فعلى العكس كان الأستاذ الذى عرف الملك الفيلسوف بأنه من يتعين طاعته فى ثقة واطمئنان . كان واضع « الجمهورية » الكاملة بحكم تعريفه . ومن أجل هذا استحال أن تتعرض للتغير دون أن يكون تغيرها وصمة .

وهناك نوع آخر من الخيانة لا يعتبر أفلاطون مسئولا عنه ، وهو شبيه بالنوع الذى وصفه المؤلف الفرنسى چوليان بندا Julian Benda (١٨٦٧—) فى كتابه « خيانة الكتاب »[٥٤] ، فالكتاب الذين خانونا — فيما أريد أن أقرر — هم الشراح الكثيرون الذين تعرضوا لشرح التفكير السياسى عند أفلاطون ،

وقدموا لنا منـــه صورة زائفة كل الزيف ، لأنهم موهوا فكرته فى الحكم المطلق وآراءه فى شيوعية الملكية والنساء والأطفال .

ومرة أخرى لا أملك أفضل من أن أقتبس كلام « پوپر » فى هذا الصدد :

« أى تمثال لتفاهة الإنسانية يبدو فى فكرة الملك الفيلسوف . ما أبعد هذا عن بساطة النزعة الإنسانية عند سقراط ، ما أبعده عن مطلب سقراط من السياسى المسئول ، وهو ألا يؤخذ بمزاياه وسلطانه وحكمته بل يعرف أهم الأشياء إطلاقاً ، وهو أننا جميعاً كائنات بشرية ضعيفة . ما أبعد دنيا هذا الفيلسوف المتهم الصادق العاقل من مملكة أفلاطون التى يحكمها ذلك الحكيم الذى يرفعه سلطانه السحرى عن مستوى عامة الناس ، وإن لم ينزهه عن مباشرة الكذب ، ولا يعصمه من أن يكون كالشامانيين * يتجر بالمحرمات وينتجها حتى يتسلط على غيره من الناس[٥٥] » .

محاورة تيماوس :

سنعرض فيما بعد لتحليل الأفكار العلمية عند أفلاطون . ولكن من الأوفق أن نتحدث الآن عن الكتاب الذى يعتبره أكثر العلماء المؤلف العلمى الرئيسى بين آثاره ، وهو « تيماوس » ، وفيه يعالج العلم لا بمعناه الضيق المحدود ، بل باعتباره بحثاً فى الكون . إنه دراسة للعالم فى وحدته ونظامه وجماله . والعلم — بالمعنى الذى نفهمه — دراسة لظواهر حسية محددة ، والفضل فى أنه شق طريقه وآتى أكله راجع إلى ما يقتضيه من تثبت وتأمل ، أما الكونيات فعلى عكس هذا موضوعها الكون كله . ومن أجل هذا يعتبر الباحث فيها فيلسوفاً ميتافيزيقيا لا رجل علم بصرف النظر عن العناصر العلمية التى تدخل فى بحثه .

ويصدق هذا بوجه خاص على محاورة تيماوس التى ظل كثير من الشراح آلافاً من السنين يعدونها أوج الحكمة الأفلاطونية ، والتى لا يملك رجال العلم

* الشامانية Shamanism عقيدة بعض قبائل آسيا الشمالية وأمريكا ؛ وخلاصتها أن أقدار الناس فى الحياة تقررها مجموعة من الآلهة أو الأرواح مطبوعة على الشر . (المترجم)

الحديث إلا أن يعتبروها أثراً تذكارياً يشهد بافتقار أفلاطون إلى الحكمة والتبصر[٥٦] .

وفى أواخر حياة أفلاطون – ولنقل إبان العشرين عاماً الأخيرة – شرع فى كتابة محاوراته الثلاث : « تيماوس » و « كريتاس» Critas و « هيرموكراتيس» Hermocrates . وقد أتم « تيماوس » وكف عن كتابة كريتاس فجأة (فى منتصف جملة كان يكتبها) ولم يبدأ فى كتابة المحاورة الثالثة ، والمحاورات الثلاث كلها تروى قصة العالم منذ عصر ما قبل التاريخ إلى فجر المستقبل . وكان الجزءان الأخيران فى السياسة . ولعل أفلاطون قد تبين بمجرد الانتهاء من جمع ملاحظاته أن الإطار الأصلى ضيق شديد الضيق ، فتخلى عنه وشرع فى تأليف كتابه « القوانين » وهو آخر كتبه وأكثرها إسهاباً . ومن الواضح أن الإنسان إذا أخذ يشرّع للمستقبل ، ونزعت به الرغبة إلى معالجة تشريعه بالإسهاب والتفصيل ، تضخم لا محالة كتابه وتجاوز حجمه كثيراً حجم المحاورات الأصلية .

وقد سميت محاورة « تيماوس » باسم المتكلم الرئيسى فيها ، تيماوس اللوكريشى ، وهو شخص يتعذر اعتباره موجوداً بالفعل ، ولعله كان من خلق الخيال الشعرى[٥٧] وتيماوس أساس الدراسات الكونية فى المحاورات الثلاث . وفى وسعنا أن نقسم الحوار إلى ثلاثة أجزاء (والرقم الموضوع بين قوسين يدل على طول أحدها بالنسبة للآخرين) :

(١) المقدمة (٨) وهى تتضمن أسطورة « أطلنطس » Atlantis كما رواها « سولون » أحكم الحكماء السبعة[٥٨] .

(٢) علم الوجود بمعناه الخاص (٤٢) ، صنع النفس الكلية . ونظرية الأركان ، ونظرية الهيولى (المادة) والأشياء المحسوسة .

(٣) علم وظائف الأعضاء – الطبيعى منه والمرضى ، (٢٣) صنع النفس الجزئية وجسم الإنسان . والجزء الثانى هو الجزء الرئيسى ، وهو أطول بكثير من

الجزءين الآخرين مجتمعين . وهو يبحث فى ماهية علم الطبيعة ، والوجود والصيرورة ، والمثال والشبح (العالم المرئى المحسوس عند أفلاطون ليس إلا أشباحاً تحاكى العالم الحقيقى) والخلق وجرم العالم ونفسه ، وتعاون العقل والضرورة وهلم جرًّا ، وتحليل المحاورة تحليلا أوفى من هذا يستوعب مكاناً أفسح وأوسع ، ولا يفيد إلا فى تضليل القارئ .

والمفروض فى المدينة المثالية المشروحة فى الجمهورية أنها وجدت فعلا فى الماضى السحيق ، فى أثينا فى عصر ما قبل التاريخ . ومع هذا فالغرض من كتابة « تيماوس » هو ربط الجمهورية المثالية بتنظيم العالم كله ، فالجمهورية ليست إلا المظهر السياسى للعالم ، وليست الأخلاقية الإنسانية إلا انعكاس العقل الكونى .

وصانع العالم Demiurgos ليس خالقاً ولكنه يشبه العقل عند أنكساجوراس من حيث إنه منظم للعالم ، ولنسمه العقل الإلهى . والعالم المنظم هو نفسه إلهى على قدر مسايرته لمنطق العقل . والتفرقة بين المادة والعقل عند أفلاطون ليست واضحة تماماً ، لأن كليهما يمكن تفسيره بالعقل الكلى . ومع هذا فهناك صورة أخرى للثنائية تتمثل فى محاورة « تيماوس » ، وهذه الثنائية تبدو فى التفرقة بين العالم الأكبر (الكون) والعالم الأصغر (الإنسان) ، وقد قال بهذه التفرقة من قبل « ديموكريتوس » ولكن أفلاطون هذبها كثيراً جدًّا .

والعالم يشبه جسماً حيًّا فريداً . يبدو التدليل على معقوليته فى انتظام حركات الكواكب ، ومن الممكن أن تقارن نفس العالم بنفس الإنسان ، لأن كلتيهما إلهية وخالدة .

والكواكب والنجوم أعظم مجلى للمثُل . ومن الممكن اعتبارها فى نظره آلهة . وعلم الفلك هو المعرفة التى تلزم للحكمة والصحة والسعادة . ومن الممكن أن نجد فى الموسيقى وفى نظرية الأعداد أثر الرياضيات الإلهية التى تكشف عنها

حركات النجوم ، فالناس عندما يموتون تعود نفوسهم إلى النجوم التى يتصل بها مولدهم[٥٩] .

وعن «تيماوس» أخذ الناس الهذر التنجيمى الذى أضر كثيراً بالعالم الغربى ولا يزال يفعل فعل السم فى ضعاف العقول فى أيامنا الحاضرة . بل كان علم التنجيم نفسه فرعاً من علم التنجيم عند البابليين . وإنصافاً لأفلاطون يتعين الاعتراف بأن التنجيم عنده بقى متزناً وروحانياً ، ولم يتحول إلى تنبؤ تافه بالغيب . فقد كانت الكواكب فى نظر عقله المتأمل شبيهة بالساعات الدقيقة التى تكشف عن سير الزمن ، وعن أنغام النفس الكلية .

وهذه الأنغام تبدو — بسبب عدد الكواكب — معقدة كل التعقيد ، ولكنها وضعت فى مجموعات معينة ، وهذه المجموعات نفسها تتكرر بعد فترة معينة من الزمن. هذه الفترة هى السنة الكبرى[٦٠] التى تقاس بالعدد الكامل (٣٦٠٠٠ عام أو ٧٦٠,٠٠٠ عام؟) .

وفى الإمكان التوسع فى بيان التشابه الشعرى بين العالم الأصغر (الإنسان) والعالم الأكبر (الكون) ، بين جسمنا وبين الجسم الكلى[٦١]. لقد سيطر هذا التشابه على تفكير أفلاطون ، وبسبب مكانة أفلاطون نفسه هيمن هذا التشابه — إلى حد كبير — على تفكير كثير من مفكرى العصور الوسطى ، بل حتى على رجل من المحدثين مثل «ليوناردو دافنشى» Leonardo da Vinci . ومن هذا التشابه كانت الناحية الخاصة التى أثارت اهتمام أفلاطون أكثر من غيرها ، هى بالطبع الناحية التى تشير إلى أن المدينة الكاملة فى أحلامه صورة من المدينة الإلهية . إن تيماوس دعامة كوزمولوجية لما ورد فى الجمهورية .

والكون مركب من أربعة عناصر ، هى الأرض والماء والهواء والنار ، ويتوسط الثانى والثالث منهما نسبياً بين الأول والأخير[٦٢] . وهذه العناصر أجسام صلبة ، ومع ذلك يمكن أن تتحلل إلى أجزاء هندسية ، وإليها تعزى الأجسام الصلبة المنتظمة الأربعة[٦٣] .

وقد قابل أفلاطون فى سيراكوز « فيلستيون» Philistion من أهل« لوكروا » ولعله تأثر به ، أو كان يمكن أن يتأثر به لو كان أقل نفوراً من العلم التجريبى . ولم يكن فيلستيون مجرد باحث نظرى يتبع إمپيدوكليس Empedocles ، وإنما كان عالم تشريح ممتازا ، قام بتشريح جثث كثيرة ، وشرح كثيراً من الكائنات وهى حية لأغراض علمية ، واعتبر القلب منظم الحياة الرئيسى وكانت ملاحظاته على القلب الحى غاية فى الدقة ، واكتشف أن بطينى القلب يموتان قبل موت أذينيه (ونحن نعرف حقيقة أن أذينة القلب اليمنى هى جزء القلب الذى يموت أخيراً (ultimum moriens) وأن صمام الشريان الرئوى السينى (وهو على شكل الحرف سين) أضعف من صمام الأورطى السينى (وهو الشريان الذى تنبت منه شرايين الجسم) ؛ وهذا صحيح تماماً لأن ضغط الدورة الرئوية ليس إلا ثلث ضغط الدورة المتعلقة بالبنية . وملاحظات فيلستيون تثير الدهشة ، لأنها تتضمن قدراً كبيراً من التجريب العلمى ، ولكننا حين نعزو إليه هذه الملاحظات نستند فى هذا إلى افتراض أنه كان مؤلف بحث أبقراط عن القلب[٦٤] .

إن دورة الطعام والدم فى الجسم تشبه دورة الماء فى الأرض[٦٥] أو « تشبه حركة الأشياء فى العالم ، وهى تحمل كل شىء نحو نوعه الخاص »[٦٦] .

وقد عرف أفلاطون ثلاث مجموعات من الأمراض ، أول مجموعة منها تنشأ عن تغير العناصر الأربعة ، وثانيتها يحدثها فساد الأمزجة الناجمة عن هذه العناصر ، وثالثتها تصدر عن النفس والبلغم والصفراء[٦٧] . وهذه المجموعة الثالثة توحى بالمقارنة بينها وبين Tridosa in Ayurveda ولما كانت أفكار أفلاطون وأفكار أطباء الهند متشابهة فى الغموض ، كانت المقارنة بينهما عديمة الجدوى [٦٨].

أما الجزيرة المفقودة « أطلنطس »[٦٩] وهى تقع فى مكان ما غربى جبل طارق ، فقد أوحت بكثير من الأفكار التى لا تساير منطق العقل . فمن ذلك أنه حين توصل إلى معرفة قياس علو المحيط الأطلنطى بملاحظة ضغط الهواء الجوى ، وشرع علماء طبقات الأرض فى أن يضعوا على أساس الملاحظة الدقيقة

فروضاً توصلهم إلى معرفة الجزائر أو القارات المفقودة ، قيل إن أفلاطون سبق إلى اكتشافها . . ! لقد أضاع كثيرون من علماء الجيولوجيا وقتهم سدى فى أن يجعلوا لحلم أفلاطون شيئاً من الحقيقة !

وقد مضى فى هذه الضلالات إلى نهايتها منطق بولندى هو « ڤينسنتى لوتسلاڤسكى Wincenty Lutoslawski فى كتابه المشهور : « نشأة منطق أفلاطون ونموه »[٧٠] ، إذ قرر أنه وجد فى كتابات أفلاطون ما يشهد بأنه سبق إلى كشف الحيوانات المائية[٧١] وأنه سبق كذلك إلى معرفة التركيب الصحيح للماء ، من أنه مؤلف من ثلاثة جواهر فردة اثنان منها من غاز خاص والثالث من غاز آخر[٧٢] Risum teneatis ويبين لنا هذا إلى أى حد ذهب تقديس أفلاطون ، لأنه لو استطاع أن يسبق ليوڤنهوك Leeuwenhock ولافوازييه Lavoisier إلى فتوحهما العلمية من غير أن يستخدم آلات تساعده على ذلك ، لما كان رجل علم ، بل لكان ساحراً وخالقاً للمعجزات . إن « لوتسلاڤسكى » فى موقفه هذا يذكرنى بعامة الناس الذين يأبون إلا أن يردوا الكشوف العلمية إلى الإنجيل أو إلى القرآن . ومهما يكن من شىء فإن سبق هذين الكتابين إلى العلم أدنى إلى المنطق من سبق أفلاطون ، لأنهما ما داما من وحى الله ، وهو العليم بالمستقبل ، فليس فى سبقهما إلى العلم أية دهشة . وتطبيق مثل هذا على أفلاطون ، دون القول بالرهبنة — يشتمل على تناقض أساسى .

وإذا كان فيلسوف معاصر له دربة وامتياز مثل « لوتسلاڤسكى » ، قد استطاع أن يستخرج من تيماوس ما ذهب إليه ، فلا عجب أن نجد تلك التأويلات المضحكة التى ذهب إليها علماء العصور القديمة والوسطى . فإن محاورته « تيماوس » لم تؤخذ على أنها خيال شاعر بل اعتبرت إنجيلا فى الدراسات والنقد فى ذلك الصيت البالغ الذى لأفلاطون الإلهى ، وقد فتن غموضها البالغ كثيرين من القراء ، ولعل بعض غموضها جاء عمداً ، ولكنه يعزى — إلى حد كبير — إلى الخلط الملحوظ فى أفكار أفلاطون . إنه غموض من النوع الذى يمكن اعتباره صادراً عن وحى ، والذى يعده ضعاف العقول ربانيًّا وحقًّا لا ريب

فيه . وقد ضاع الفيلسوف الشاك الشاعر تيميون Timeon الفليوسى[٧٣] فعلا جديداً هو تيتومس timaiographein بمعنى يكتب بأسلوب تيماوس الموحى به . وقابل جوليان المرتد عن دينه Julian (فى النصف الثانى من القرن الرابع) بين تيماوس و « سفر التكوين » ، وكان بروكاليس Procles (فى النصف الثانى من القرن الخامس) — أحد رؤساء الأكاديمية الأواخر — يريد أن يبيد جميع الكتب ما عدا « تيماوس » وآثار الكلدان المنبثة عن الغيب[٧٤] .

فأثر تيماوس فى العصور المتأخرة قوى غلاب ، وإن كان فى جوهره سيئاً . وقد نقل « خالكيديوس » (فى النصف الأول من القرن الرابع) شطراً كبيراً من تيماوس إلى اللاتينية ، وظلت هذه الترجمة النص الأفلاطونى الوحيد المعروف للغرب اللاتينى أكثر من ثمانية قرون[٧٥] . ولكن شهرة أفلاطون لم تلبث أن وصلت إليه ، وعندئذ أصبحت « تيماوس » فى ثوبها اللاتينى نوعاً من الإنجيل الأفلاطونى فكان كثيرون من مفكرى العصر المدرسى على استعداد لتفسيره تفسيراً حرفياً[٧٦] . وكانت أخطاء « تيماوس » تؤخذ على أنها حقائق علمية . ولا أستطيع أن أذكر كتاباً آخر كان تأثيره أسوأ من تأثير « تيماوس » اللهم إلا « وحى » القديس يوحنا الإلهى ، ومع ذلك فإن سفر الرؤيا تقبله الناس على أنه كتاب دينى ، بينما سلموا بمحاورة تيماوس على أنها كتاب علمى ، ولا تكون الأخطاء شديدة الخطر إلا إذا قدمت إلينا تحت ستار العلم .

الحب الأفلاطونى :

نقرأ فى كتاب « القوانين »[٧٧] « أن جميع الأشياء تعتمد فى نظر الناس على ثلاث حاجات أو رغبات ، إن أحسن الناس تدبيرها أدت إلى الفضيلة ، وإلا انتهت إلى الرذيلة » وهذه الحاجات الثلاث هى الجوع والظمأ — ويبدأ شعور الإنسان بهما منذ ولادته — والشهوة الجنسية والشعور بها يأتى متأخراً . ويقرر أفلاطون فى « تيماوس »[٧٨] أنه « طالما كانت الطبيعة البشرية تبدو

على صورة ثنائية (مذكر ومؤنث) فيتعين أن تطلق كلمة « الرجل » على أرقى الجنسين » .

وفى نهاية الكتاب نفسه وضع أفلاطون نظرية مضحكة عن الجنس . ويبدو بحثه فى الأجنة فى صورة ذيل للكتاب ، كما أن فكرة الجنس نفسه قد وجدت فى نظره بعد ظهور الخليقة ، أى كعامل يبعث على البلبلة ، يقول :

ومن هنا تميزت الأعضاء التناسلية فى الرجال بالعناد وعدم الطاعة كما لو كانت كائناً أصم لا يسمع للعقل نداء ، يحاول أن يتسلط على كل ما عداه مدفوعاً إلى هذا التسلط بشهواته الجامحة ، وكذلك الحال فى النساء ، يضيق لنفس الأسباب الذى يسمى بالرحم — وهو شىء داخلى يميل أشد الميل إلى إنجاب الأطفال — ويقلق إذا لبث فترة طويلة بعد موسمه الملائم للإثمار دون أن يحمل ثمرة . ومن ثم يشيع فى أنحاء الجسم ويسد مسالك الهواء ويمنع التنفس ويبعث فى الجسم الضيق ، بل يسبب جميع الأمراض حتى تربط بين المرأة والرجل الرغبة والحب[٧٩] .

وفى جزء آخر من الكتاب نفسه يقول بعد أن أشار إلى الشهوات الجنسية .

« إذا سيطروا على هذه (الشهوات) عاشوا فى عدالة ، فإذا استعبدتهم شهواتهم عاشوا فى ظلم (أراذل) . ومن قضى حياته فى عيشة طيبة عاد ثانية إلى مقره فى نجمه الذى ولد فيه ، وعاش مرة أخرى حياة سعيدة متناسبة متجانسة . ومن أخطأه التوفيق فى ذلك تقمص عند ميلاده الثانى طبيعة امرأة . وإذا استمر وهو على هذه الصورة لا يمسك عن إتيان الشر اعتراه التغير فى كل مرة وفقاً لطبيعة فعله ، فيتغير إلى صورة حيوان يشابه طبيعة الشر الذى يأتيه ، ولن يتخلص إبان هذه التطورات التى تنتابه من البلايا حتى يذعن لذلك الذى يقيم فى باطنه ، والذى لا يعتوره التغير (العقل) وحتى يعود ثانية إلى صورته الأصلية المثلى (وهى طبيعته الناطقة) ، وهو إذا سيطر بالعقل على الكتلة الثقيلة المادية اللاعقلية التى لحقت به ، والتى

تتألف من النار والماء والأرض والهواء ، عاد إلى مشابهة حالته المثلى الأولى »[٨٠] .

وقد أوضح أفلاطون على لسان « ديوتيما » فى محاورة « سيمبوزيوم » أن الرغبة الجنسية هى أدنى صورة لميلنا إلى الخلود . وأدرك أفلاطون الحاجة إلى الزواج وإنجاب الأطفال ، ورأى أن العلاقات الجنسية عند الصفوة تدخر لمناسبات رسمية معينة ، تنظم وفاقاً لحاجة المدينة إلى النسل . ويلوح أن أفلاطون لم يدرك أن الحب بين الأزواج يتضمن على وجه خاص علاقة ود وثيقة بين شخصين ، وأنه يفتقر إلى عطف كثير ورقة فياضة يبديها كل منهما نحو قرينه ، وأن هذا الحب يفضى — متى واتى الحظ — إلى خير عظيم ، إذ فكر أفلاطون فى إحداث زيجات قصيرة الأمد على نحو ما يفكر مربى الماشية ، ولم يخطر له فيما يبدو أن الزواج ليس مجرد ارتياح جنسى ، وتحسين نسل ، ولكنه علاقة بين شخصين ، شركة بين قلبين ، وأنه لا قيمة لغير الزيجات الطويلة المدى فى تنمية الشخصية وإثرائها ، وفى تحقيق الانسجام بين كل زوجين ، وكلما طالت الزيجة كانت أفضل ، وأن الوئام السعيد الباقى هو أعظم نعم الحياة .

كيف أمكن ألا يفكر أفلاطون المثالى فى مثل هذه الأمور ؟ إن السبب ، فى بساطة ، هو أنه كلما عرض لتصوير الرغبات الجنسية فى صورة مثالية — وقد فعل هذا كثيراً — تصور وجود نزاع بين الروح والجسد ، وكلما اتخذ وجهة نظر (رومانتيكية) فى الحب ، كان قوام تفكيره هو الشذوذ الجنسى ، لا الميل الطبيعى الذى يقوم بين الجنسين المتضادين .

والحب الأفلاطونى فى نظرنا معنيان : يبدو أولهما فى الرغبة الملحة فى الاتحاد بالجمال وتأمل المثال (كما أبانت عنه « ديوتيما ») ، ويتمثل ثانيهما فى الصداقة الروحية التى لا تقترن برغبة جنسية . وعند ما نفكر فى الحب الأفلاطونى بالمعنى الثانى ، تخطر لنا الصداقة الروحية التى تقوم بين رجل وامرأة . ومع هذا فكر أفلاطون فى قيام صداقة روحية بين رجل وصبى ، فكان الحب

الأفلاطونى عنده إعلاء للواط ، والحب الصادق فيما يقول فى محاورة « سيمبوزيوم »[٨١] هو الطريقة الصحيحة لمحبة غلام to orthos paiderastein

لا يستلزم ذلك أن أفلاطون كان ممن يزاولون اللواط بالمعنى الفعلى ، ولكن يكاد يكون مؤكداً أنه كان مصاباً بشذوذ جنسى . إنه لم يتزوج أبداً . وإذا كان تحدث أحياناً عن العلاقات الجنسية التى تقوم بين الرجال والنساء . فحديثه مجرد عن كل عاطفة . وكان يدخر مشاعره الرقيقة للعلاقات الشاذة مع بنى جنسه . إنه كان ممن يبغضون المرأة . يبدو هذا كثيراً فى ثنايا كتاباته . قارن مثلا ذلك القول المهذب الذى قاله « كسينوفون » فى زوجة سقراط « كزانتب » Xanthippe فى كتابه Memorabilia[٨٢] بالعبارة القبيحة التى قالها عنها أفلاطون فى محاورة « فيدون » . تحدث كسينوفون كما يتحدث رب الأسرة paterfamilias ووصف أفلاطون المنظر نفسه وصف كاره النساء[٨٣] . فكيف يستطيع الإنسان أن يصدق أن أفلاطون الذى كان — من نواح أخرى — مهذباً رقيقاً ، قد أمكنه أن يضحى بالنساء وقدسية الزواج كما فعل فى الجمهورية . لقد كان من السهل على رجل منحرف جنسياً أن يسلم بشيوعية الزوجات والأطفال .

ولكن يتعين علينا إنصافاً لأفلاطون أن نضيف إلى ما أسلفنا أنه قد حقر فى كتابه الأخير « القوانين » من شأن اللواط[٨٤] . ولقائل أن يقول دفاعاً عنه إن هذا الداء كان شائعاً فى أثينا ، بل فى بلاد أثارت إعجاب أفلاطون مثل كريت ولاكيديمون . وفى رأيه أن قصة زيوس Zeus و « جانيميدس »[٨٥] Ganymedes وهى نموذج إلهى للواط ، قد اخترعت فى كريت . وربما كانت هذه العادة فى أثينا أكثر انتشاراً بين الأرستقراطيين ، والأثرياء الكسالى ، والمتحذلقين ، منها بين البسطاء من الناس . ومهما يكن من شىء فلا بد أن المخالطة السوية بين الجنسين كانت هى القاعدة العامة لا ما يستثنى ، ولولا ذلك لانقرض الجنس ، ثم إن الإغريق كانوا يمجدون الزواج ، وكانوا يميلون إلى إنجاب الأطفال ، كما هى الحال عندنا ، بل أكثر ، لأن السلالة من الذكور كانت

مطلوبة لتواصل الشعائر المدنية ولتقوم بالشعائر الدينية بعد موت آبائهم . وكان أفلاطون يكتب فى جو خاص يسوده الانحراف الجنسى ، ولم تكن هذه حال غيره من كتاب الإغريق المعاصرين له من مثال « كسنيوفون » وفى وسعنا أن نتصور أن الرجل العادى فى اليونان كان كقرينه فى أيامنا الحاضرة ، يميل إلى النساء وإنجاب الأطفال .

كان من الضرورى أن نعرض لإيضاح هذه المسائل ، وإن لم تكن على اتصال مباشر بتاريخ العلم ، إذ يتعين علينا أن نكون قادرين على تقدير شخصية أفلاطون ، وأن نعرف مدى رياء شراحه ، فأكثرهم آثروا أن يسدلوا ستاراً على انحرافه الجنسى ، كما أسدلوا هذا الستار على شيوعيته . وقد وجد من نقلوا كتبه من الإنجليز أن من السهل عليهم أن يخفوا الشواهد الدالة على انحرافه الجنسى ، لأن كلمة « محبوب » فى الإنجليزية يمكن أن يراد بها المرأة ، كما يراد بها الرجل ، وعند اليونان اسم مفعول مذكر ، فلم يدعوا للغموض مجالا ، وفى وسع المترجمين أن يبرروا احتشامهم المصطنع بضرورة توقير الشباب . ومع هذا فقد يكون تجنب ترجمة نص وإسقاطه من الحساب أفضل من إساءة تأويله عن عمد ، إذ لا عذر يبرر الأكاذيب ، والأكاذيب التى تستخدم لتوضيح مثالية زائفة باطلة هى أسوأ الأكاذيب جميعها .

راجع داڤيد مور روبنسون David Moor Robinson وإدوارد جيمس فلك Edward James Fluck فى كتابهما :

Study of the Greek Love names including a discussion of paederasty (210 pp.; Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1937).

وكذلك وارنر فايت Warner Fite فى كتابه الخرافة الأفلاطونية : The Platonic Legend (New York: Scribner, 1934) وهانز كلسن Hans Kelsen فى كتابه : الحب الأفلاطونى Platonic Love, The American Image 3, 110 opp. (Boston, 1942).

خاتمة :

كان أفلاطون شاعراً وفيلسوفاً ميتافيزيقيًّا ، وفناناً أبدع فى استخدام أداة أدبية ذات جمال يكاد يرتفع عن التصديق ، هى النثر اليونانى فى العصر الذهبي . وسنعرض لوجوه نشاطه العلمى فى الفصل التالى ؛ ولكن يحسن بنا أن نلاحظ الآن أنه لم يكن عالماً ، وإنما كان باحثاً معنيًّا بدراسة الكون ، وما وراء الطبيعة ، وكان عرافاً . وتاريخ الفلسفة الأفلاطونية سلسلة طويلة من الغموض والتعقيد وسوء الفهم والتمويه .

وقد يبدو كلامنا فى أوهام أفلاطون السياسية والجنسية غير ضرورى فى كتاب مخصص لتاريخ العلم . ولكن الحيل التى لجأ إليها الشراح لتجنب الحديث عن مغالطاته ، والتملص من ضلالاته ، خليقة بأن تسترعى انتباهنا ، ولعلنا لا نجد فى عالم الأدب شيئاً يمكن مقارنته بها إلا العمى الذى أصاب الناس إزاء بعض الأشعار القبيحة التى وردت فى العهد القديم . فقد بدا أفلاطون الإلهى وكأنه معصوم من الخطأ ، لا يستطيع أحد أن يسيء الظن به من غير أن يعرض نفسه لسوء الظن ويصبح عقبة فى سبيل فهمه . وقد كانت قصة مذهب ابن رشد بدورها سلسلة من الخلافات وسوء الفهم ، ولكن من نوع يختلف عن هذا كل الاختلاف . فبينما كان المديح يرتفع بأفلاطون إلى أطباق السماء ، وتختفى أخطاؤه أو تؤول تأويلا ينطوى على التمويه والتضليل ، صوّر الرأى العام ابن رشد فى صورة أسوأ مما كان فعلا . وإن اشتركت الحالتان — حالة أفلاطون وحالة ابن رشد — فى شيء ، هو أن حكم العلماء كان يخضع فى الحالين لرأى الجماهير ويصطبغ بلونه . فبينما كان هذا الرأى فى صالح أفلاطون بوجه عام ، إذا به يدين ابن رشد ، أو — ليكون تعبيرنا أوضح — أصبحت المسألة أن من حسنت تربيته ونشأ فى وسط كريم ، وقر أفلاطون واحترمه ، أما ابن رشد فإذا خطر لأحد استتبع ذكره ملامة وقدحاً ، فكان الرجل المهذب بطبيعة الحال أفلاطونياً ، بينما كان أتباع ابن رشد متطرفين ودعاة للاضطراب .

مثل هذا المديح الذى لا يتمشى مع أصول النقد ينطوى على نفاق وتزييف ، إذ لا يستطيع أحد أن يمجد إنساناً لمجرد هرائه وهذره ، وإلا كان موقفه بعيداً عن النزاهة .

ويبدو الأمر أهون من هذا ، لو ذكرنا أن الأسطورة الأفلاطونية ترجع فى قسط كبير منها إلى أحكام أدبية خاطئة . ذلك أن لغة أفلاطون كانت من الجمال وصعوبة الفهم بحيث تحمل على صرف النظر عما اشتملت عليه ، فظُنّ جمال الأسلوب رشداً ، والغموض عمقاً ، وانتهى الأمر بأن احتل أفلاطون فى الثقافة اليونانية مكاناً ملحوظاً يكاد يكون شبيهاً بمكان هومر ، وهو بالفعل يشبه هومر من حيث إنه سيطر على التربية اليونانية .

هكذا بلغ سوء الفهم أوجه . لم يكن أفلاطون يحفل بالفردية أو الشخصية ، ومن ثم لا نستطيع أن نعتبره صاحب نزعة إنسانية صادقة . ومع هذا فإن دعاة النزعة الإنسانية فى بيزنطة وفلورنسا اعتبروه أستاذهم ، وكانوا على يقين من هذا ، مشوقين إلى الدفاع عن إيمانهم به إلى حد أنهم كانوا يأبون على الدوام أن يطلعوا فى مؤلفاته على الأدلة الناطقة التى تشهد بافتقاره إلى النزعة الإنسانية .

كان من حق أفلاطون أن يرى ما يبدو له من آراء ، ويتعين علينا ألا نلومه من أجل تعبيره عنها . ولكن الشراح الذين أساءوا تأويل كل فكرة من أفكاره كان يمكن أن تكون مثاراً للنقد والاعتراض ، أولئك الشراح هم الخليقون بالقصاص . إن موقفهم مثير لكل حيرة . ولا بد أن المعلمين الذين وكل إليهم تربية حكام بلادهم فى المستقبل ، تسرهم لا محالة دعاوى أفلاطون الأرستقراطية ، بل تسرهم حتى طرقه فى الحكم الاستبدادى . ولكن كيف أمكن أن يصيبهم العمى فلا يروا أفكاره عن الشيوعية والشذوذ الجنسى ، وافتقاره إلى احترام النساء واستخدام الرقة معهن ، وغير هذا مما كان على خلاف تام مع ما تخيروه من أفكاره ؟ كيف ترك أفلاطون مع ما اقترف من آثام تقارب القتل [٨٦] ؟

كان أفلاطون شاعراً عظيما ، فى شعره لمحات من الحكمة ، ولكنه لم يكن على الدوام مرشداً يهدى إلى الطريق السوى ، وإنما كان فى كثير من الحالات

ضاراً جداً ، وربما قاد إلى الهلاك . ولكن من الخير أن الذين أسرفوا فى امتداحه لم يتبعوه ، ولعله كان من الأفضل أن يعاملوه كما عامل هو هومر ، أى أن يتوجوه بالزهور ، ثم يطردوه من المدينة . ولكن لا ، فإن هذا لا يجدى شيئاً . وما ينبغى أن نقلد أسوأ آدابه ، بل بالعكس يجب أن يؤذن له فى البقاء بالمدينة ، وأن يكون له رأيه . فليبق أفلاطون ، ولنكشف عن حقيقته للناس ، فيبدو عظيما أحياناً ، وغير عظيم أحياناً أخرى .

قد يؤول اللاهوتيون والفلاسفة ضلالاته تأويلا ينطوى على التمويه ، أما رجال العلم فإن جريمتهم فى هذا لا يمكن اغتفارها . إن التربية التى تقوم على الأكاذيب شىء سيئ ، وكلما بدت فى ظاهرها طيبة كانت أبعث على الضلال وكان خطرها أفدح .

ولما كان مذهب أفلاطون جزءاً من إنسانيات الغرب ، تطلب الإقدام على نقده شجاعة فائقة . وقد كان من أوائل من اضطلعوا بنقده تشارلس كروفورد Charles Crawford فى بحث له عن فيدون (لندن١٧٧٣) ؛ وكان كروفورد هذا شاباً ثائراً فى كلية كوين Queen بجامعة كمبردج ، وكان يشوّه كتابه نزق الشباب واستخدام الكلمات الرنانة الجوفاء (شكل ٨٢) . وعلينا أن نعترف بفضل جورج جروت (١٧٩٤–١٨٧١) G. Grote الذى وضع كتاباً ضخماً عن أفلاطون وسائر رفقاء سقراط . Plato & the other companions of Sokrates[٨٧] وقصد به أن يكون ملحقاً لكتابه تاريخ اليونان History of Greece وكان جروت معجباً بأفلاطون ، ولكنه لم يتردد فى الإقدام على نقده .

وقد أشرنا من قبل إلى كتب أخرى حديثة كشفت عن أفلاطون كما كان فعلا ، مستندة إلى الاقتباس من ألفاظه ، وأهمها جميعاً كتب فايت Fite (١٩٣٤) وفارنجتون Farrington (١٩٤٠) وبوبر Popper (١٩٤٥).

كان وارنر فايت (١٨٦٧–) Warner Fite أستاذاً لعلم الأخلاق فى جامعة برنستون Princeton .وقد زودنى فى خطاب مسهب شرّفنى بإرساله إلىّ من هوبويل (Hopewell, N. J.) بتاريخ أول يوليو ١٩٤٤، بمجمل للنقد الذى

كان موضوع كتابه «الخرافة الأفلاطونية» (Platonic Legend) . وقد لامه بعض النقاد لأنه افترى على أفلاطون ، وعتب عليه غيرهم لأنه ذكر فى غير توقير ما يعرف كل إنسان أنه صحيح (ولكن ما لم يعلنه أحد فى كتاب مع استثناء جروت) . وقال فى نهاية خطابه : « ولو أنى أعدت كتابة الأسطورة لحاولت أن أدخل عليها بعض التعديلات ، لتوكيد بعض ما قلت من قبل . على أن غايتى قبل كل شىء لم تكن نقد أفلاطون بقدر ما كانت نقد شراحه ومؤوليه . وقد تحريت بعد الفصل الثامن ، وخاصة من الفصل التاسع إلى الحادى عشر ، أن أوجه اهتمامى إلى تهذيب الصورة التى رسمتها لأفلاطون كباحث نظرى علمى ، أكثر مما وجهته إلى نقد فلسفته نقداً سلبيًّا . ولكنى بعد أن بلغت السابعة والسبعين وبعد سنوات تقاعد ، أرانى مضطرًّا إلى تركه كما هو » .

ومن الممكن أن تقال هذه الملاحظة نفسها على هذا الفصل (أفلاطون والأكاديمية) إذ كان الغرض منه هدم الصورة الزائفة التى خلفتها عن أفلاطون أجيال كثيرة من المتعلقين — « إنى أحب أفلاطون ولكن الحق أحبّ إلىّ منه »[٨٨] .

تيماوس فى العصرين القديم والوسيط :

إلى منتصف القرن الثانى عشر لم يكن المشتغلون بالعلم فى الغرب يعرفون من آثار أفلاطون غير محاورة تيماوس ، ومن أجل هذا بدا أفلاطون فى نظرهم هو مؤلف تيماوس — أو هو كذلك بوجه خاص — ومما هو خليق بالبحث أن نتتبع فى إيجاز أثر هذا الكتاب المشئوم .

كانت محاورة تيماوس من أوائل الكتب التى اجتذبت انتباه الشراح ، وأول شرح أفلاطونى قد خصصه لها كرانتور Crantor السولى (قيليقية حول عام ٣٠٠ ق . م.) . وقد أورد بلوتارك Plutarch وبروكليس Procles مقتطفات من هذا الشرح . وثمة شروح أخرى على تيماوس وضعها بوسيدونيوس Posidonios من أهل أفامية Apamea (فى النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد) وأدراستوس Adrastos من أهل أفرودسياس (كاريا Caria فى النصف الأول

A

DISSERTATION

ON THE

PHÆDON OF PLATO:

OR

DIALOGUE OF THE

IMMORTALITY of the SOUL.

WITH

Some general OBSERVATIONS upon the Writings of that PHILOSOPHER.

To which is annexed,

A PSYCHOLOGY: or, An Abſtract Inveſtigation of the NATURE of the SOUL; in which the Opinions of all the celebrated Metaphyſicians on that Subject are diſcuſſed.

By CHARLES CRAWFORD, Eſq.
Fellow Commoner of Queen's College, Cambridge.

LONDON:
Printed for the AUTHOR:
And ſold by T. EVANS, No. 54, in Pater-noſter-Row; WOODFALL and Co. Charing-Croſs; and R. DAVIS, the Corner of Sackville-Street, Piccadilly.
MDCCLXXIII.

(شكل ٨٢)

تحفة من الإدب الأنجليزى ، هى أول حملة على فلسفة أفلاطون شنها تشارلس كروفورد عام ١٧٧٣ – (مأخوذة عن نسخة موجودة فى مكتبة كلية هارفارد)

Harvard Collge Library

من القرن الثانى) وجالينوس Galen (فى النصف الثانى من القرن الثانى)[٨٩] وبروكليس البيزنطى (فى النصف الثانى من القرن الخامس) وتلميذه اسكليبيودوتس

Asclepiodotos الإسكندرى (فى النصف الثانى من القرن الخامس) وقد اطلع عليها فلاسفة الأفلاطونية المحدثة . هذا فيما وضع باليونانية .

أما الشروح اللاتينية فقد بدأت بشرح خالكيديوس Chalcidius (فى النصف الأول من القرن الرابع) وهو الذى نقل إلى اللاتينية تيماوس حتى منتصف ٥٣ جـ . أما المحاورات الأفلاطونية التالية التى ترجمت إلى اللاتينية فهى محاورة مينون Menon ومحاورة فيدون Phaidon ، وهذا لم يتم إلا حوالى عام ١١٥٦. والموضوعات الرئيسة فى هذا التراث تمثلها أسماء جون سكوت إريجينا John Scott Erigena (فى النصف الثانى من القرن التاسع) ووليام الكونشيسى (فى النصف الأول من القرن الثانى عشر) وبرنارسلفيستر Bernard Silvester (فى النصف الأول من القرن الثانى عشر) وألبير الكبير Albert the Great (فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر) ووليم المربيكى William of Moerbeke (فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر) والقديس توماس الأكوينى Thomas Aquinas (فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر) . ولا أجد فى القرن الرابع عشر شيئاً، إلا أن المحاورة التى وضعها جان بونيه Jean Bonnet من أهل باريس (فى النصف الأول من القرن الرابع عشر) وهى : Les Secrets aux philosophes من المحتمل أن تكون قد وضعت على نمط تيماوس . والمحاوران فى تلك المحاورة بلاكيديس Placides وتيميو Timeo . وقد تحدثت عن هذه المحاورة فى الجزء الذى وقفته فى مقدمتى على النصف الأول من القرن الرابع عشر ، ولكن من المحتمل أنها قد كتبت فى أواخر القرن الثالث عشر ، والمؤكد أنها سابقة على عام ١٣٠٤ . وليس من السهل أن نستخلص التراث اللاتينى لمحاورة تيماوس من تراثها فى الأفلاطونية المحدثة .

والتراث العربى أعقب التراث اللاتينى ، كما أن اللاتينى أعقب اليونانى . إنه يبدأ بيحيى بن البطريق (فى النصف الأول من القرن التاسع) وهو الذى ترجم تيماوس إلى اللغة العربية . ويقال إن ترجمة أخرى قد قام بها حنين بن إسحاق (فى النصف الثانى من القرن التاسع) وصحح هذه الترجمة ، أيًّا كانت ،

يحيى بن على (فى النصف الأول من القرن العاشر) .

وربما كان القول بوجود ترجمة تعزى إلى حنين بن إسحاق مرجعه سوء فهم ، إذ أن حنيناً قد ترجم بالفعل شرح جالينوس للجزء الطبى فى تيماوس ، ترجمه إلى السريانية كما ترجم جزءاً منه إلى اللغة العربية . وأتم ترجمة حنين ابن أخته حبيش بن الحسن (فى النصف الثانى من القرن التاسع) [٩٠] وربما كانت هذه الترجمة مصدر خطأ آخر ارتكبه المسعودى فى كتاب التنبيه الذى عزا فيه إلى أفلاطون كتاب تيماوس طبى غير محاورة تيماوس المعروفة . وفى وسعنا أن نقول ونحن مطمئنون إن تيماوس الطبى هو فى الواقع الجزء الطبى فى محاورة تيماوس ، وهو الذى ظهر مستقلا ومنفصلا (عن بقية تيماوس) فى شروح جالينوس الذى ترجمه حنين إلى العربية [٩١] .

وإذا صرفنا النظر عن الترجمة العربية لتيماوس [٩٢] ، لاحظنا أن جوهر هذه المحاورة كان معروفاً لفلاسفة العرب عن طريق فلسفة أرسطو الإلهية (فى النصف الثانى من القرن الخامس) وعن طريق الآثار التى خلفها أصحاب الأفلاطونية المحدثة ، وكان هذا التراث مضطرباً إذ امتزجت فيه آراء أفلاطون بآراء أفلوطين Plotinos وغيره .

وقد كتب حنين بن إسحاق رسالة تحت عنوان « ما يحتاج إليه فى تعلم الفلسفة » [٩٣] وهذا العنوان يذكرنا بالعنوان الذى وضعه ثيون Theon من أهل أزمير Smyrna (فى النصف الأول من القرن الثانى) ولكن مقدمة ثيون لأفلاطون كانت تنصب على الرياضيات .

هذا المجمل على إيجازه كاف فى إيضاح تطورات آثار أفلاطون قبل ظهور الطبعات اليونانية واللاتينية .

وقد تفضى دراسة الآثار الأفلاطونية الأخرى إلى نتائج مشابهة لهذه النتائج . مثال ذلك ، وضع بروكليس (فى النصف الثانى من القرن الخامس) شرحاً على « الجمهورية » نقله إلى العربية حنين بن إسحاق (فى النصف الثانى من القرن التاسع) وعلق

عليه بالعربية ابن رشد (فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر) وبالعبرية صمويل بن جودا من أهل مارسيليا (فى النصف الأول من القرن الرابع عشر) وجوزيف كاسبى Joseph Kaspi (فى النصف الأول من القرن الرابع عشر). وقد نقل النص اليونانى إلى اللاتينية مانيويل خريسولورس Manule Chrysoloras (فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر). ولابد أن جمستس بليثون Gemistos Plethon (حوالى ١٣٥٦ — ١٤٥٠) قد تحدث عنه حين أبان لعلماء فلورنسا الفرق بين أفلاطون وأرسطو.

وترجمة أفلاطون (إلى اليونانية والعربية واللاتينية والعبرية) فى العصور الوسطى معقدة كل التعقيد، وكل كتاب منها يستحدث أشياء جديدة ويضيف أسماء من عنده.

إن سطوة أفلاطون كانت تزداد ازدياداً ملحوظاً، وقد بدا هذا أولا إبان عصر النهضة البيزنطى فى القرنين التاسع والعاشر، ثم تجلى فى مدرسة شارتر Chartres (إبان القرن الحادى عشر والنصف الأول من القرن الثانى عشر) وأخيراً فى ظل أكاديمية أفلاطون فى فلورنسا؛ وساير هذا انتشار «تيماوس» وازدياد نفوذه. وانخدع كثيرون من العلماء فسلموا بالأوهام التى تضمنها هذا الكتاب كأنها حقائق إنجيلية. هذا الخداع قد عاق العلم عن التقدم، وبقيت محاورة تيماوس إلى اليوم مصدراً للغموض والخرافة.

هوامش الفصل السادس عشر

(١) هى أعظم البغايا الأثينيات المعروفات ، ولدت فى « تسبيا Thespiai بإقليم بيوتيا . ولم تكن مصدر إلهام المثال « براكستيلس » فحسب ، بل كذلك الرسام « أبيليس » Apelles وقيل إنها تطوعت – بعد أن هدم الإسكندر طيبة عام ٣٣٦ بإعادة بناء أسوارها ، مشترطة أن يسجل هذا العمل منقوشا على شاهد يقول « خرب الاسكندر الأسوار ، ولكن فرائن البغى أعادت بناءها .

(٢) كانت تعاليم أوقليدس تجمع بين الفلسفة الأيلية والجدليات والاخلاق السقراطية ، وقد عاشت المدرسة الميغارية أو الجدلية حاملة حتى نهاية القرن الرابع .

(٣) سنعرض فى الفصل التالى للحديث عن النتائج التى ترتبت على معرفته بارخيتاس ، أما نتائج الصداقة التى نشأت بينه وبين « ديون » فيتعين أن نعرفها الآن على وجهها الصحيح . كانت هذه الصداقة نذير شؤم عليه وعلى ديون وعلى سيراقوصة جميعاً ، إذ كان « ديون » قريب « ديونيسيوس الأول » ووزيره ، ونظراً لتأثره بأفلاطون كان – فيما يبدو – تحدوه الآمال الحسان وتملؤه النوايا الطيبة ، إذ حاول أن يعلم الملك وابن الملك ، فلما خلف الابن (ديونيسيوس الثانى) أباه عام ٣٨٧ وهو فى الثلاثين من عمره ، وله ولع مثله بالفنون وإن كان أضعف منه وأقل حزماً ، قام بدور نصير الأدب والفلسفة. وتلقى أفلاطون دعوة من « ديون » لكى يعود إلى سيراقوصة ، فما كان من الملك إلا أن طرد « ديون » وصادر أملاكه وحاول – بعد هذا – عبثاً أن يستبقى أفلاطون ، وعاش « ديون » فترة من الزمان فى أثينا يختلف إلى الأكاديمية ، وفى عام ٣٥٧ عاونه أعضاء الأكاديمية على اقتحام سيراقوصة بالقوة ، وطرد « ديونيسيوس » الثانى ، وأصبح « ديون » بالضرورة طاغية بدوره ، بيد أنه قتل بعد ذلك بقليل . وقد أخذنا الكثير من هذه الحقائق عن رسالة أفلاطون السابعة (وإن كانت نسبتها إلى أفلاطون مثار شك) وهى الرسالة التى وجهها فى شيخوخته إلى أنصار « ديون » بعد قتله ، وحثهم فيها على التزام الاعتدال وعدم التطرف . وتدل الرسالة على أن أفلاطون نفسه قد اشترك مع بعض أعضاء الأكاديمية فى الفترة اشتراكاً ملحوظاً ، وأن هؤلاء قد ساهموا فى جرائم السياسة السيراقوصية . فيما يتصل بهذه الرسالة المنسوبة إلى أفلاطون ، راجع مجلة إيزيس Isis مجلد ٤٣ ص ٦١ (عام ١٩٥٢) .

(٤) هذا المكان الآن – فيما ورد فى خطاب رقيق أرسله إلى الأستاذ « ميشيل ستيفانيدس » M. Stephanides من أثينا فى ٢٣ يوليه عام ١٩٥٠ ميدان شعبى فى أثينا يسميه العامة «أستروفوس» Astryphos (هاجيوس ترايفول) ولكنه يسمى أيضاً « أكاديمية » ، وللزائرين الحق فى زيارة المكان ، وإن لم يوجد به نصب تذكارى .

(٥) كان « أكاديموس » هو الذى كشف هدى ابنى الإله « زيوس » إلى المكان الذى اختفت فيه أختهما « هيلين » الإسبرطية ، ولهذا أبقى أهل إسبرطة على الأكاديمية عند ما فتحوا أتيكا .

(٦) المعانى المتعاقبة لكلمة « أكاديمية » وصيغها المختلفة فى اللغات الأوربية هى ، فى إيجاز :

(١) المدرسة التى أنشاها أفلاطون .

(ب) كلية التعليم العالى .
(جـ) المدرسة الثانوية .
(د) مدرسة خاصة (أكاديمية الموسيقى – أكاديمية بحرية . . . إلخ) .
(هـ) مكان للتربية أو التثقيف بوجه عام .
(و) جمعية للمشتغلين بالعلم .

ومنذ القدم والناس يشعرون بأن الأكاديمية لفظ يحمل معنى التشريف ، وكلمة براقة ، وقد زاد استعمالها من بريقها كما « أكاديمية العلوم » ، وكذلك أسيء استعمالها ، إذ توجد فى العالم الآن أكاديميات لا قيمة لها ، وأى رجل من أتباع النزعة الإنسانية يذكر أفلاطون ، يعرف أن لفظ الأكاديمية لفظ مقدس .

(٧) ربما كانت هذه الخصوصية ضرورة أوحى بها إعدام سقراط ، فمثل هذا التعليم – كما كان يتصوره أفلاطون – تتعذر مزاولته علانية وإلا تعرض صاحبه للخطر ، ولهذا كان من الحكمة أن يباشر هذا النوع من التعليم على نحو خاص إن لم يكن سراً ، وفى مكان بعيد منعزل عن الناس .

(٨) يوجد فى دائرة معارف « باولى فيسوفا » (الألمانية) Pauly-Wissowa فى المجلد ٢٢ (عام ١٩٢٢) ص ١٥٨٥ – ١٥٨٨ مقال طويل كتبه فون آرنم von Arnim عن كرانتور .

(٩) يعد « بروقلس » (البيزنطى) من بين الأسيويين ، وإن كانت بيزنطة تقع على الجانب الغربى (الأوربى) للبسفور .

(١٠) محاورة تيماوس ٢٢ ب .

(١١) صولون (حوالى ٦٣٨ – ٥٥٨) هو المشرع الأثينى المعروف ، وأحد الحكماء السبعة ، وقد تغيب عن أثينا بعد أن أتم مجموعة قوانينه عشرة أعوام زار خلالها مصر وقبرص وليديا حيث كانت مقابلته المعروفة مع قارون Croesos ، وعقب عودته بقليل قبض على ناصية الحكم « بسترانس » Peisistratos وألغى قوانينه ومات صولون بعد ذلك بعامين – حوالى عام ٥٥٨ .

(١٢) Republic x, 616

(١٣) Ibid, 414.

(١٤) فى محاورة القيبادس Alcibiades I (121E-122A) ونسبتها إلى أفلاطون موضع شك ، وفى سن الرابعة عشرة تعلم الإيرانى الصغير مذهب « زرادشت » المجوسى ، وهو ابن « هورومازوس » Horomazos

(١٥) حين تراد المثل الأفلاطونية يقصد بهذه الكلمة التميز بين هذا المعنى الخاص (الأفلاطونى) وبين المعانى الشائعة .

(١٦) كما يقول المثل الوارد فى بداية الجمهورية فى الكتاب السابع – ٥١٤ وما بعدها : نحن نشبه السجناء فى كهف فهم لا يعرفون الأحداث التى تقع خارج الكهف إلا عن طريق ظلالها التى تبدو على الحوائط الداخلية .

(١٧) الكلمتان اللتان استخدمهما أفلاطون هما he idea بمعنى مثال ، و to eidos بمعنى

صورة أو شكل ، والكلمة الثانية غريبة من ناحية دلالتها على المعنى ، لأن معناها الأصلى هو « هذا الذى يرى » والمثال لا يمكن رؤيته ، وكل ألفاظنا المجردة ترجع بالضرورة إلى أصول محسوسة .

(١٨) شيلى Shelley الذى استقينا عنه هذه الفقرة يخفى — كما أخفى الكثيرون غيره من مترجمى أفلاطون — حقيقة واضحة فى النص اليونانى هى أن « الأشخاص المحبوبين » ، ليسوا نساء ، بل غلماناً حساناً ، إن الفلسفة الأفلاطونية تقود فى يسر إلى النفاق .

(١٩) من ترجمة شيلى لمحاورة Symposium (211) التى أعيد طبعها فى « خمس محاورات لأفلاطون تتصل بالإلهام الشعرى» طبعة : Everyman's Library

(٢٠) إن الفضيلة شرط السعادة ، والشر أو الإثم تقدير خاطىء ، والرجل الفاضل حقاً هو بالمعنى الأفلاطونى المنطقى الذى يعرف مثال الخير .

(٢١) أرسطو فى كتابه : Metaphysics, 991

(٢٢) Introduction, vol. 3, pp. 81-83, 549-557

(٢٣) لتعريف operationism أنظر « داجوبرت د . رونز » Dagobert D. Runes فى قاموسه فى الفلسفة Dictionary of Philosophy (نيويورك المكتبة الفلسفية Philosophical Library ١٩٤٢) ص ٢١٩ ، وراجع مجلة إيزيس مجلد ٣٩ ص ١٢٨ (١٩٤٩) .

(٢٤) يفهم لفظ « المثالى » (وهو أحياناً لفظ زلوق عن الإدراك الدقيق) على اعتبار أنه ضد الواقعى .

(٢٥) فى تقديرى للسياسة عند أفلاطون ، استعنت كثيراً بكتاب « وارنر فايت » Warner Fite « الخرافة الأفلاطونية (٣٤٠ صفحة) » Warner Fite, The Platonic Legend (340 pp., New York: Scribner, 1934)

واستعنت كذلك بكتاب « بنيامين فارنجتون » Benjamin Farrington « العلم والسياسة فى العالم القديم » Science & Politics in the Ancient World (٢٤٣ صفحة) نيويورك مطبعة جامعة أكسفورد ١٩٤٠ مجلة إيزيس مجلد ٣٣ ص ٢٧٠ — ٢٧٣ (١٩٤١ — ٤٢) واستعنت قبل هذا بكتاب كارل بوبر Karl Popper « المجتمع المفتوح وأعداؤه » The Open Society & its Enemies (جزءان — لندن Routledge ١٩٤٥ — طبعة جديدة فى جزء واحد ٧٤٤ صفحة برنستون طبعة جامعة برنستون Princeton University Press ١٩٥٠) — واستشهاداتى مأخوذة عن الطبعة الأولى .

(٢٦) فى ترجمة « جوويت » Jowett تستغرق الجمهورية ٣٣٨ صفحة ، بينما تقع محاورة « السياسى » فى ٦٨ صفحة وكتاب « القوانين » فى ٣٦١ صفحة ، فمجموعها ٧٦٧ صفحة ، وليس بين مؤلفاته مؤلف يستغرق أكثر من مائة صفحة .

(٢٧) لتكون المقارنة أدق ، تصور أننا (يقصد المؤلف الأمريكيين) قد هزمنا أمام الألمان ، لأننا شرعنا فى تدبير استعداداتنا متأخرين جداً ، أو لأنهم اخترعوا القنبلة الذرية قبل أن نتوصل نحن إليها ، وأن أستاذ إدارة الحكم فى جامعة هارفارد قد أخذ يمتدح معتقدات النازية ويبشر بها ... !

(٢٨) العنوان الأصلى هو Politeia e peri dicaiu نظام الدولة أو ما يتصل بالعدالة ، ولعل الكلمة الأولى قد أصبحت إنجليزية polity ، وترجمتها « بالجمهورية » مضللة نوعاً ما ، ولكنها استقرت الآن تماماً حتى ليتعذر تغييرها فيتعين أخذ كلمة « الجمهورية » بمعناها الأصلى res publica .

(٢٩) لسنا فى حاجة إلى مناقشة مسألة الرق فى هذا المقام ، فقد كان العبيد أصلا أسرى الحرب الذين كانوا عرضة للموت ، فاختاروا العبودية كشر أهون من الهلاك ، وقد كان الرق أمراً مقبولا ، لا فى نظر أفلاطون وأرسطو فحسب ، بل حتى بعدهما بستة عشر قرناً عند أمثال القديس توماس الأكوينى (فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر). انظر Introduction, Vol. 2, p. 916 — ومن وجهة نظر أفلاطون كان الشعب فى مستوى الرقيق من الناحية الروحية .

(٣٠) Nus epithymia thymiathymos وهذه النفوس الثلاث تقابل على الترتيب المسالك الهوائية الثلاثة pneumata فى علم وظائف الأعضاء عند جالينوس وهى : النفسية والحيوية والطبيعية التى كانت أساس علم وظائف الأعضاء إلى أيام « هارفى » Harvey بل إلى ما بعده ، ومقارنة الحالة كلها بجسم فرد واحد تصور رأى الفلسفة الأفلاطونية التصوير الحق .

(٣١) يصف أفلاطون الطوائف المصرية فى محاورة تيماوس ٢٤ — أما عن المقارنة بالطوائف الهندية فانظر ا . سنارت . E. Senart (١٨٤٧ — ١٩٢٨) فى كتابه « الطوائف فى الهند » Les castes dans Indes باريس ١٨٩٦ و١٩٢٧ مجلة ايزيس المجلد الثانى ص٥٠٥ (١٩٢٨) وراجع أيضاً « ج . هـ . هاتون » J. H. Hutton فى كتابه « الطائفة فى الهند » Caste in India — طبعة (Cambridge: University Press, 1946) وانظر مجلة إيزيس مجلد ص ٣٩ ص ١٠٧ (١٩٤٨)

(٣٢) Doxa alethes يعنى أن تكون آراؤهم طيبة أى أن يكونوا متمسكين بالدين سديدى التفكير ، وهذا فى بساطة مظهر عميق من مظاهر الطاعة .

(٣٣) قارن قصة باسيون ص ٣٩٥ (نص إنجليزى) عن العبد الذى أصبح أغنى رجل فى أثينا ، والذى حصل بفضل خدماته الجليلة على ألقاب عليا .

(٣٤) لعل من الأفضل أن نقول إن أفلاطون كان أول باحث نظرى فى تحسين النسل ، فإن وجهات النظر التناسلية قد أبان عنها قبل ذلك بقرنين من الزمان الشاعر الأرستقراطى ثيوجنيس Theognis Fl. 544–541 . — راجع م . ف . « أشلى مونتاجو Achley Montague فى كتابه « ثيوجنيس وداروين والانتخاب الطبيعى » Theognis , Darwin & Natural Selection مجلة إيزيس مجلد ٣٧ ص ٢٤ — ٢٦ (١٩٤٧) .

(٣٥) كان يراد بالرجل الموسيقى musicos aner ما نسميه بصاحب النزعة الإنسانية ، ولكن هذا الإنسانى قد تضاءل فى نظر أفلاطون وقل شأنه ، لأن حرية تفكيره كان مضيقاً عليها كثيراً .

(٣٦) الجمهورية ٣٩٨ أ .

(٣٧) Aristotle, Politics, 1265a, 14

(٣٨) فى القوانين ٧٣٧ يحدد أفلاطون عدد المواطنين (مثلا كل الصفوة) بخمسة آلاف

وأربعين نسمة (لا ٥٠٤٠ فحسب) وكان لا بد أن يبقى العدد ثابتاً ، وينجب من الأطفال بقدر يكفى لحفظ عدد السكان ثابتاً ، هذا الحد وضعه وهم من أوهام أفلاطون العددية : ٥٠٤٠ = ٢١ × ٢٠ × ١٢ ، = ٣٥ × ١٢ × ١٢ ، وله تقسيمات تبلغ تسعة وخمسين قسماً ، وتشمل كل الأعداد من ١ إلى ١٢ مع استثناء ١١ الذى لا يقبل العدد ٥٠٤٠ القسمة عليه (القوانين ٧٣٨ و ٧٧١) . ولو أدرك أفلاطون أن ٥٠٤٠ = ٧ ! لمضى فى حماسته لهذا العدد إلى أبعد من ذلك .

(٣٩) Laws, 694 - 698

(٤٠) قارن آراء « والتر براد فورد كانون» Walter Bradford Cannon (١٨٧١–١٩٤٥) فى ضبط الظروف الاجتماعية ضبطاً هوموستاتيكياً Homeostatic . راجع مجلة إيزيس مجلد ٣٦ ص ٢٦٠ (١٩٤٦) . وكانت هذه الآراء تعجب أفلاطون بطريقة ما ، لأنها أقرت وجود تشابه جديد بين علم وظائف الأعضاء وعلم السياسة ، بين العالم الأصغر (الإنسان) والعالم الأكبر (الكون). (Homeostatic : لفظة اصطلاحية تدل على خاصية الجسم فى أن يحتفظ نسبيًّا بأوضاع ثابتة ، مع تغير الظروف الاجتماعية والمناخية المحيطة به . ولعل من الخير أن تعرب تعريب الديناميكية والاستاتيكية) . (المترجم)

(٤١) وقد تكررت الفكرة نفسها فى الجمهورية ست مرات Republic, 473

(٤٢) القوانين ٩٤٢ . هذه الفقرة مأخوذة من الترجمة الإنجليزية الدقيقة التى قام بها بنيامين جوويت (١٨١٧ – ١٨٩٣) رئيس كلية باليول Balliol (بجامعة أكسفورد) وهى الترجمة التى نشير إليها فيما بعد بترجمة جوويت . وتوجد هذه الفقرة فى طبعة « ستيفانوس » Stephanus (٣ أجزاء باريس – هنرى استين . H. Estienne ١٥٧٨) جـ ٢ ص ٩٤٢ – وفى جوويت (ثالث طبعة جـ ٤ ص ٣٣٠) .

(٤٣) Popper, Open Society جـ ١ فصل سابع ، وقد أوضح جون ستوارت مل J. S. Mill فى كتابه : System of Logic (١٨٤٣) ضرورة وجود زواجر دستورية . وقال فى كتابه « خضوع النساء» Subjection of Women (١٨٦٩) : « من الذى يشك فى إمكان تحقيق خير عميم وسعادة عظيمة وألفة طيبة فى ظل الحكم الاستبدادى الذى يتولاه رجل خير صالح . ولكن القوانين والنظم تفتقر أثناء ذلك إلى أن تتكيف وتتلاءم ، لا مع الحاكم الخير ، بل مع الحاكم السيئ » . ويستفسر مل ويتساءل « من الذى يساوره الشك فى ضرورة ذلك ؟ » ، ويكرر هذا « بوبر » مع إيراد سبب معقول .

(٤٤) القوانين د ٦٣٤ .

(٤٥) Waldo Frank, Dawn in Russia (New York, Scribner, 1932, p. 163

(٤٦) Republic, 414b, 389 b

(٤٧) Popper, The Open Society, I, p. 171

(٤٨) John Bagnell (1861 - 1927), History. of the Freedom of Thought (New York, 1913) p. 35.

(٤٩) انظر فى تفصيل هذا كتاب « بوبر » (السالف الذكر) ص ٨٧ .

(٥٠) Laws, 942, quoted before

(٥١) Laws, 739 طبعة Jowett ج ٥ ص ١٢١ . وانظر أيضاً Republic, 462 وفى غير هذا من فقرات يمكن معرفتها من فهرس « جوويت » .

(٥٢) الكيداماس من أهل إلايا فى « ايوليا » . وقد رفض الرق باعتباره منافياً للقانون الطبيعى ويرى « ليقوفرون » أن القانون ليس إلا مجرد اصطلاح تعارف عليه الناس ، وهو كفالة العدالة بين الناس ، وليس فى مقدوره أن يجعل الناس « أخياراً » – راجع أرسطو فى كتاب : Politics 1280B 10 أما أنتستانس وهومن . أثينا ، وصاحب مذهب الكلبية فقد كان تلميذا لسقراط وحضر موته . وقد علم فى مدرسة « كينوسارجس » Cynosarges وهو ملعب يقع خارج أسوار أثينا يستخدمه الذين لم ينحدروا عن أصل أثينى نقى ، وهو نفسه لم يكن أثينياً خالصاً ، إذ كانت أمه من أهل طراقيا .

وقد مات فى أثينا وهو فى سن السبعين .

(٥٣) رب معترض يقول : « كيف تعرف ذلك ؟ فنجيب بأن سقراط الحقيقى هو الذى يتفق عليه أفلاطون وكسينوفون Xenophon ، والذى كشفت عن عبقريته المحاورات السقراطية الأولى التى كتبها أفلاطون .

(٥٤) J. Benda, Trahison des clercs (Paris, 1927)

(٥٥) Popper, The Open Society, vol. I, p. 137

(٥٦) توجد طبعات لا تحصى لهذه المحاورة . وفى وسع قراء الإنجليزية أن يستخدموا طبعة « جوويت » ج ٣ أو طبعة بيورى R. G. Bury (اليونانية – الإنجليزية) فى طبعة لويب Loeb : أفلاطون ج ٧ (١٩٢٩) ص ٣ – ٢٥٣ – أو يقرءوها فى الترجمة التى قام بها فرنسيس ماكدونالد Francis Macdonald (١٨٧٤ – ١٩٤٣) وقرنها بالتعليق الشائع المعروف . وهى ٣٩٤ صفحة – لندن Kegan Paul (١٩٣٧) – (راجع مجلة إيزيس مجلد ٣٤ ص ٢٣٩ (١٩٤٢ – ٤٣) وطبعة كورنفورد Cornford هى أنسب طبعة يمكن لمؤرخ العلم الرجوع إليها :

Heinrich Otto Schroder, Galeni in Platonis Timaeum Commentarii fragmenta . Appendix 11. Mosis Maimonidas Aphorismorum praefatio et excerpta a Paulo Kahle tractata (140 pp. ; Corpus medicorum graecorum, Suppl. 1; Leipzig, 1934)

(٥٧) حاول بعضهم أن يثبت أن تيماوس اللوكريسى (Locri Epizephyrii) فى الجنوب الغربى من بروتيم بإيطاليا هو فيثاغورى قديم – كان يمكن أن يكون معلم أفلاطون – وهو الذى كتب باللهجة الدورية بحثاً فى العالم والطبيعة Peri psychas Cosmu cai physios وقد حسبه الأفلاطونيون المحدثون له حقاً ، ولكن تبين أنه موضوع ، لم يوجد قبل القرن الأول المسيحى ، وأنه ملخص متأخر لتيماوس ، لا أقدم منه بحال ما .

(٥٨) (تيماوس ٢٠ هـ) (Timaios 20E) الأسطورة تلقاها صولون عن الكاهن الشيخ فى صالحجر Sais (وهى فى دلتا النيل) وقد أشرنا من قبل إلى الحديث الذى دار بينهما .

(٥٩) Timaios 42 B

(٦٠) Republic 546 B, Timaios, 39 D

(٦١) لعل فكرة السنة الكبرى والعالم الأصغر – وهى تقابل فكرة العالم الأكبر – مأخوذة عن أصل شرقى بابلى .

(٦٢) Timaios, 31 B ff.

(٦٣) إن المقارنة المضحكة بين العناصر والأجسام الصلبة الأفلاطونية لم يترجمها « تشالسيديوس » وقد توقفت ترجمته وتعليقاته فجأة .

(٦٤) طبعة « ليتريه » Littré لهذا البحث Peri cardies جـ ٩ ص ٧٦ – ٩٣ ناقصة جداً وأفضل منها طبعة « فردريك كارل أنجر » Friedrich Karl Ungar (Utrecht thesis 1923) و « ج . ليبوك ». G. Leboucq فى كتابه تشريح قديم للقلب الإنسانى – فيلستيون « اللوكروس » و « تيماوس » Une anatomie antique du coeur humain, Philistion de Locres et le Timée.

(٦٥) انظر فى دورة الماء فى الأرض (perirrhoe) محاورة Phaidon, 111 D - E

(٦٦) Timaios, 81

(٦٧) Timaios, 82 - 84

(٦٨) Dhirendra Nath Ray مبدأ Tridosa فى Ayurveda (٣٧٦ صفحة كلكتا : Banerjee ١٩٣٧) (راجع مجلة إيزيس مجلد ٣٤ صفحة ١٧٤ – ١٧٧ (١٩٤٢ – ٤٣) وكذلك جين فيليوزات فى كتابه « النظرية القديمة فى الطب الهندى »

Filliozat, La doctrine classique de la medicine indienne (Paris: Imprimerie nationale, 1949).

(راجع مجلة إيزيس مجلد ٤٢ ص ٣٥٣ (١٩٥١)

(٦٩) Timaios, 24 E

(٧٠) Origin & Growth of Plato's Logic مع وصف لأسلوب أفلاطون وتاريخ آثاره (٥٦٥ صفحة لندن ١٨٩٧) وانظر ٤٨٤ ، وفى هذا الكتاب محاولة أريد بها وضع آثار أفلاطون فى ترتيبها الزمنى على أساس بحث منهجى فى خمسمائة ميز يميز أسلوبه .

(٧١) Timaios, 91 C

(٧٢) Timaios, 56 D

(٧٣) فليوس فى الشمال الشرقى لجزيرة البيلوبونيز Peloponnesos (بلاد المورة الآن) . درس طيمون الفلسفة فى المدرسة التى أنشأها أوقليدس الميغارى . وبعد سنين قضاها ضالا ، أنفق بقية حياته فى أثينا حيث مات شيخاً طاعناً فى السن . وله أشعار ساخرة لاذعة مرة Silli (Silloi) ومن أجل هذا سميت بأشعار الهجاء .

(٧٤) مما لا يخلو من الدلالة أن الأثرين الوحيدين اللذين أراد بروقلس أن يحتفظ بهما كان كلاهما شرقياً ، والواقع أن فى محاورة تيماوس علماً شرقياً أكثر مما نلاحظه من هذا العلم فى الحكمة اليونانية .

(٧٥) وأدق من هذا أن نقول إن ترجمة تشالسيديوس الناقصة لمحاورة تيماوس قد ظلت النص الأفلاطوني الوحيد المتداول في اللاتينية حتى ترجمت محاورتا « مينون » Menon و « فيدون » Phaidon حول عام ١١٥٦ ، وفي طبعة هنري اتين H. Etienne. تشغل « تيماوس » من ص ١٧ إلى ٩٢ في الجزء الثالث ، وقد وقفت ترجمة « تشالسيديوس » وتعليقاته عند 53 B .

(٧٦) انظر : القسم الأخير من هذا الفصل ، وهو يلخص أثر « تيماوس » في العصور الوسطى .

(٧٧) Laws 782 D

(٧٨) تيماوس ٤٢ .

(٧٩) تيماوس ٩١ طبعة لويب ج ٧ ص ٢٤٩ .

(٨٠) تيماوس ٤٢ ب لويب ج ٧ ص ٩١ وهو يعرض آراء مشابهة لهذه الآراء تتصل بتحول الرجال إلى نساء أو إلى حيوانات ، يعرضها أفلاطون في نهاية تيماوس (٩١ – ٩٢) .

(٨١) Symposium 211 B

(٨٢) Memorabilia 2,2 يوبخ سقراط ابنه الأكبر « لامبروقلس » Lamprocles لتجاوزه حده مع أمه ولكونه كان معها كنوداً ناكراً للجميل .

(٨٣) قبل أن يتجرع سقراط الشويكران دخلت عليه زوجته (كزانتب) « وأخذت تولول جهاراً وتردد الكلام الذي يجري على ألسنة النساء دواماً : « آه يا سقراط ، هذه آخر مرة يتحدث إليك فيها أصدقاؤك أو تتحدث أنت فيها إليهم » . فنظر سقراط إلى « أقريطون » وقال له : « يا أقريطون : ليرجعها أحد إلى البيت » فأخذها فنحاها بعض رجال أقريطون بعيداً وهي تولول وتضرب صدرها » (فيدون ٦٠) ثم خاض سقراط في حديث آخر . وقد روينا القصة كلها من قبل ، وكان طرد سقراط لزوجته المسكينة في هذا الوصف فظاً قاسياً بصورة لا يمكن تصديقها .

(٨٤) Laws, 636 C,.836 C

(٨٥) وصار هذا الاسم علماً على الغلمان الذين يحترفون الدعارة ، ويظهر أن الكلمة استعملت كثيراً في زمن الرومان ولذلك اتخذت شكلا لاتينياً وانتقلت إلى بعض اللغات الأوربية .

(٨٦) في عام ١٩٥٠ ألح الساسة الذين أرادوا أن يشوهوا سمعة وزارة الخارجية في الولايات المتحدة U. S. Department of State إلى أن كثيراً من موظفي هذه الوزارة كانوا شيوعيين أو مصابين بالشذوذ الجنسي ، فهل يمكن القول بأن هؤلاء الموظفين كانوا من أتباع أفلاطون المهذبين .

(٨٧) ٣ أجزاء – لندن ١٨٦٥ .

(٨٨) كثيراً ما نقتبس هذه الجملة ، ولكن الذين يعرفون أصلها قلائل ، لقد أخذها من حياة أرسطو ، « أمونيوس اسكاس » Amonios Saccas (في النصف الأول من القرن الثالث) ونشرها باليونانية واللاتينية « وسترمان » Ant. Westermann في كتاب « ديوجين اللايرتي » : حياة الفلاسفة Diogenis Laertii vitae philosophorum (Paris : Didot, 1862) القسم الثاني

جـ ٢ ١٠ – وقد قالها « أمونيوس » فى سقراط لا فى أفلاطون ، ولكن الذين يقتبسونها – وهى تقتبس كثيراً – يذكرون فيها أفلاطون .

(٨٩) وضع « جالينوس » شرحين لمحاورة تيماوس ، ضاع الثانى منهما فى نصه اليونانى ولكنه بقى فى نصه العربى ، وقد نشره حديثاً « بول كراوس » Paul Craus و « رتشارد فالزر » Richard Walzer Galeni Compendium Timaei Platonis aliorumque dialogorum synopsis quae extant fragmenta (130 pp. + 67 pp.

راجع مجلة إيزيس مجلد ٤٣ ص ٥٧ (عام ١٩٥٢) .

(٩٠) رقم ١٢٢ فى طبعة « برجستراسر » Bergstrasser لكتالوج ترجمات « حنين » (١٩٢٥) (راجع مجلة إيزيس مجلد ٨ ص ٧٠١ (١٩٢٦) .

(٩١) انظر ترجمة « كارا دى فو » Carra de Vaux المسعودى : Le Livre de l'avertissement (باريس ١٨٩٧) ص ٢٢٣ ومقالة عن أفلاطون Aflatun فى دائرة المعارف الإسلامية Encyclopedia of Islam ج ١ (١٩٠٨) ص ١٧٣ – ١٧٥ .

(٩٢) يوجد مخطوط لنسخة « تيماوس » العربية فى مكتبة أيا صوفيا Aya Sofia تحت رقم ٢٤١٠ – وهذا النص – فيما وصلى إليه علمى – لم يطبع بعد .

(٩٣) هكذا يقول « كارا دى فو » Carra de Vaux فى دائرة المعارف الإسلامية Encyclopedia of Islam جـ ١ ص ١٧٤ ولم يسلم بهذا Giuseppe Gabrieli فى بحث له عن « حنين بن إسحاق » بمجلة إيزيس : مجلد ٦ ص ٢٨٢ – ٢٩٢ (عام ١٩٢٤) .